(٣)

السلام وتدخل القــوى العظمى فى الشرق الأوسط

السـلام فى الشرق الأوسـط
الحـل السياسى وتدخل القـوى العظمى

مقـدمة :

الغرض من هـذا البحث هو ابراز ومحاولة تقييم العوامل العسكرية والاستراتيجية مع مقارنتها بالمظاهر السياسية والثقافية وامكانيات حـل مفروض على النزاع فى الشرق الأوسط ٠

وسوف نبدأ مناقشتنا بالتحقيق فى الدوافع التى قـد تدفع القـوى الخارجية الى فرض التسوية ٠ وسيحاول البحث تقييم اللوم المؤدى الى هذا النزاع وذلك على ضوء القضـايا السياسية والثقافية فى الشرق الأوسط ومقارنتها بمؤثرات الاستقرار الخاصة بالتكنولوجيا العسكرية التى تتدفق عليه من الخارج وسوف يتعرض التحليل بتصنيف أنواع التدخل الخارجى وتدخل القوى العظمى فى الشرق الأوسط بين ٧٧ ـ ١٩٧٨ من خلال السياستين الأمريكية والسوفيتية قبل وبعد مبادرة الرئيس السـادات ثم المشـكلة الفلسطينية بعد كامب دافيد وينتهى البحث بتقييم احتمالات الحل المفروض ٠

الدوافع الحقيقية للتدخـل :

ان أول سؤال يتبادر لنـا حول الحل المفروض هو لـماذا تريد أى دولة خارجية فرض مثل هـذا الحل ؟ (وفى البداية يجب تحديد المبادرة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، ان الولايات المتحـدة تخشى الحرب فى الشرق الأوسط لأن مثل هـذه الحرب يمكن أن تؤدى الى تدمير الاقتصاد الأمريكى) كمـا حـدث فى الحظر البترولى عـام ١٩٧٣ أوقـد تورط هـذه الحرب الولايات المتحـدة نفسها خاصـة اذا حصـل أحـد الفريقين المتقاتلين أو استخـدم الأسلحـة النـووية(١) ٠

ان المؤيدين لاسرائيل فى الولايات المتحدة يحبون أن يروجوا فكرة أن الولايات المتحدة تحصل على حليف بحكم الواقع وبذلك تستفيد من موقـع

اسرائيل وهى بهذا تعتبر رصيدا للولايات المتحدة وليست عبئا عليها ، وربما موقع أو وضع اسرائيل المتقدم الى حد ما يسهم فى حجب الضوء عن اليابان • ولربما كان جزء من التورط الأمريكى فى المنطقة يمكن تفسيره من خلال حقيقة أن اسرائيل من وجهة النظر الأمريكية هى « الدولة الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط » وأكثرها صداقة مع الولايات المتحدة •

وقد يثار جدل من نوع آخر وهو الذى يزعم بأن اسرائيل قد لا تقدم الكثير كقاعدة متقدمة • ومن الناحية العملية فهى قد تكون سببا فى تسميم علاقات الولايات المتحدة مع الدول العربية ، ومع ذلك لا تستطيع الولايات المتحدة أن تصبر حتى ترى ديمقراطية يلقى بها فى عرض البحر من جانب قوات مسلحة يؤيدها الاتحاد السوفيتى ويقوم بتسليحها ومن هذا فلا مناص من التدخل • ومثل اسرائيل كمثل برلين الغربية ليس لها اى قيمة فى أى موقع تقدمه ، ولكن الموقع الجغرافى المكشوف يعتبر فى الواقع من المضايقات الحرجة ـ كما أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتخلى عن هذا الموقف لما قد يحمله المستقبل من أمور غير محسوبة ، ومن ثم فان الولايات المتحدة يجب أن تفرض حلا لأنه فى غياب أو عدم وجود هذا الحل فان هذا يفرض الكثير من المخاطر حول حرب بين أمريكا والاتحاد السوفيتى •

وهناك تفسير ثالث للالتزام الأمريكى وضرورة البحث عن حل والذى ينظر اليه كثير من المراقبين بالكثير من الشك فقد يكون اهتمام الولايات المتحدة باسرائيل من أجل الولايات المتحدة ذاتها ، وقد يكون مرد ذلك الى أن قدرا كبيرا من السياسة الخارجية الأمريكية يعامل العالم الخارجى على أنه غاية فى حد ذاته أكثر من استخدام أسلوب الوسيلة السياسية الحقيقية لتحقيق غاية محلية • فقد ترغب الولايات المتحدة فى الدفاع عن انجلترا لأن انجلترا هى انجلترا ولكن الولايات المتحدة قد ترغب فى الدفاع عن اسرائيل لأنها اسرائيل •

ان المناقشات التى ترى فى اسرائيل قاعدة عملية متقدمة للاغراض العسكرية أو المشروعات السياسية أو اعتبارها منطقة عازلة بين الولايات المتحدة وحلفائها وبين السوفييت ليست مغرية للغاية • ان الصراع العربى

الاسرائيلى قد فرض حربا باردة وقد يكون من الاحرى أن نصف ارتباط الولايات المتحدة باسرائيل بأنه فى واقع الأمر عبء عليها • ان اسرائيل من وجهة النظر الأمريكية ـ مثل انجلترا ـ هى « أم البرلمانات » هذا الأمر يعتبر ميزة استهلاكية فى السياسة الخارجية الأمريكية أكثر من اعتباره « ميزة » استثمارية • انه شىء تريده الولايات المتحدة لنفسها وهو بهذا يعتبر عبئا أكثر منه وسيلة لتنفيذ اعباء أخرى بعيدة المدى •

ويرفض مؤيدوا اسرائيل فى الولايات المتحدة هذا التفسير ـ ويرجع ذلك ـ جزئيا الى أنهم يرون أن قضيتهم تكون اكثر قوة اذا نصوا فيها على شروط وتفصيلات تهم جميع الأمريكيين ، والسبب الجزئى الآخر لهذا الرفض يقوم على عدم الارتياح وفقدان الثقة الاعتماد على شىء غير مضمون • ومع ذلك فان صلابة الرأى فى السياسة الحقيقية قد يغيب عنها بعض المظاهر الهامة التى يتمكن وراء دوافع السياسة الخارجية الأمريكية كما أن النزاع العربى ـ الاسرائيلى قد يبرهن على ذلك أيضا •

ويجدر بالذكر أن نلقى الضوء على الدوافع التى تكمن وراء سياسة القوة العظمى الأخرى وهى الاتحاد السوفيتى ومن الضرورى أن نفهم لماذا يحاول الاتحاد السوفيتى التأثير على الاحداث فى الشرق الأوسط سواء كان ذلك فى فرض الاستقرار أو تصعيد النزاع(٢) •

ربما كان السوفيت قد استخدموا المصريين وعرب آخرين أدوات فى أيديهم وذلك لاعتبارات جغرافية متنوعة • والغرب مقتنع بوجهة النظر هذه • كما أن السوفيت لن يسمحوا بنصر اسرائيلى • من صنع الولايات المتحدة ، كما أنهم يخشون من أن يؤدى تجدد النزاع الى دفع واشنطون وموسكو فى حرب بينهما • والاحتمال السالف الذكر يجب أن يكون محل نظر أيضا ويجب ألا نغفل فرصة أن موسكو تهتم بصورة جدية باطراف القضية فى الشرق الأوسط كما أنها ترغب فى التدخل بصرف النظر عن الموقع العسكرى أو الاعتبار النفسى • ولربما يشعر الاتحاد السوفيتى ـ وذلك من وجهة النظر الايديولوجية الماركسية أن قضية العرب قضية عادلة وأن وجود اسرائيل فى الواقع يزيد من نجاح الاستعمار الأوروبى و الرأسمالية البرجوازية •

ومن هنا نستنتج أن دوافع القوتين العظمتين تتداخل فيما بينها مع وجود بعض التميزات الايجابية الخطيرة بين من هم عملاء ومن هم يقعون تحت الحماية واذا كانت القوتان العظيمان أكثر أثره وأقل انتهازية فان مشكلة وجود حل تكون أكثر سهولة ٠

ولنعد الى دوافع السياسة الخارجية الامريكية للتدخل لنرى أن التعاطف الأمريكى نحو اسرائيل لا نجد له مثيلا أو مكافئا بين أمريكا والدول العربية(٣) وينشأ عدم الثقة الاسرائيلى فى دوافع السياسة الأمريكية بسبب الاحساس بالعدالة لدى أى طرف خارجى تجاه قضية فلسطين وان هذا قد يؤدى الى تذبذب السياسة الأمريكية اقبالا واعراضا ويتضح ذلك من سياسة الرئيس السابق كارتر كمثال واضح ـ واذا كان فى وسع الأمريكيين ان يفرضوا وضعا سياسيا فى الشرق الأوسط فانهم لن يفعلوا ذلك ويرجع ذلك ببساطة الى الرخاء المادى والأمن العسكرى لقارة أمريكا الشمالية بأسرها وبدلا من ذلك يمكنهم أن يحافظوا دائما على وجود اسرائيل بالاضافة الى معالجة عادلة لموضوع عرب فلسطين ووضع القدس خاصة حساسيتها بالنسبة للمسلمين والحكم الذاتى لشعب نابلس وغزة وهكذا ٠

ان التصور السوفيتى للحل فى الشرق الأوسط ذو وجهين ٠ ان روسيا لم تذهب بعيدا مثلما ذهب العرب وخاصة الفلسطينيون منهم الى ضرورة ازالة اسرائيل وان موسكو تعترف باسرائيل على الرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية منذ ١٩٦٧ ٠

كما أن موسكو تعترف بحدود قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ٠ ويجب أن نلاحظ أن الولايات المتحدة ـ بمعنى ما ـ تقصر اعترافها على هذه الحدود أيضا ومن ثم فهى تتمسك بعدم تحريك أو نقل سفارتها من تل أبيب الى القدس ٠

ويلاحظ أن الامدادات السوفيتية من الأسلحة فى الفترة الأخيرة تتصف بأنها ذات جوانب كثيرة فى حين تبيع الولايات المتحدة أو تعطى بعض الاسلحة للعرب لغرض محدد ولكن الاتحاد السوفيتى لا يعطى اسرائيل أى سلاح ٠ ويستطيع الانسان أن يتكهن بأنه اذا استطاع الاتحاد السوفيتى فرض وضع

سياسى فى الشرق الأوسط فانه مع ذلك يضمن ـ بصورة ما ـ حق اسرائيل فى الوجود ، وقد يكون من المناسب النظر فيما تراه منظمة التحرير الفلسطينية مع امكان قيام « دولة فلسطينية اشتراكية علمانية » وعند التحمص الدقيق للاطراف المشتركة يشك الانسان فى أن يتعاطف السوفيت مع المطالب العادلة للعرب الفقراء المقهورين ولا يتعاطفون مع البرجوازية الاسرائيلية فى حين يميل الشعور الأمريكى الى اتجاه مخالف · ومع ذلك فثمة حدود لتصور كل حالة ·

والساخرون من الأهداف الدبلوماسية للقوى العظمى قد يرون أن السوفيت لديهم أسباب ماكيافيلية تجاه رغبتهم فى استمرار وجود اسرائيل لأن اسرائيل بهذه الصورة تحول دون التعاون بين العرب والولايات المتحدة(٤).

ان السوفيت على أى حال لديهم بعض الاحتكاكات التى بين العرب والولايات المتحدة ويستغلوها الى جانب استغلال موضوع اسرائيل ومن أمثلة ذلك ارتفاع أسعار البترول ، ان الاتحاد السوفيتى لا يريد هو أيضا الدخول فى حرب نووية كى يخرج من الشرق الأوسط ، ومن ثم سوف تظل هذه الاحتكاكات الى ما لا نهاية ·

هل الشرق الأوسط هو المشكلة :

يمكن عرض السؤال أعلاه على النحو التالى : هل الدول الخارجية وخاصة القوتين الأعظم تتيح فرصة تقديم حل للنزاع فى الشرق الأوسط ، أو هل هم لهم دخل كبير فى فرض « وتأزيم » الموقف فيه ؟ واذا لم يكن هناك الاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة فهل كان من الممكن أن يكون هذا الصراع أو النزاع أقل حدة ·

يبدو من الصعوبة بمكان رسم صورة للنزاع فى الشرق الأوسط(٥) · ان بعض أشكال الصراع قد اقتربت فى وقت ما من منطقة الصفر كما حدث فى الصراع العربى الاسرائيلى حول فلسطين ودون الدخول فى مناقشة أخلاقيات ادعاءات الصراع ومن هو المعتدى أو المعتدى عليه فانه يبدو تماما أن نميز فلسطين على انها « أرض الميعاد بشكل مزدوج » انها أرض جذابة

لكلا الطرفين اليهود واللعرب ومن ثم فهى لا تتيح حالة السلم فى المنطقة بالمفهوم الأمريكى ٠

واذا كان قد حدث أن تصور بعض الصهيونيين صورة مغايرة فان ذلك لا يضع عبئا كبيرا على الجهد اليهودى وربما كان من الممكن شراء الأراضى من أجل المستوطنات الاسرائيلية دون نزع ملكيتها من مستأجريها من الفلاحين العرب الذين كانوا يفلحونها من قبل وعلى الاقل فان هذا كان من الممكن ان يرجىء أو يؤخر رد الفعل والعنف العربى الذى تفجر فى الثلاثينات والذى يشكل قلب المعاناة العربية كما يشكل ايضا الرغبة فى الانتقام وتحقيق العدل ٠

ومع ذلك فانه يمكن أن تتفق مع المؤسسين الصهاينة بأن مجتمعا فلسطينيا يشمل طبقة يهودية متوسطة وبروليتارية عربية قد يصبح بمرور الزمن تربة خصبة لانكاء تحيز مضاد لليهودية وهو ما كان الصهاينة يذرونه وراءهم ٠ وسواء جاء رد الفعل ببساطة بسبب التغريب الاجتماعى أو البرامج أو بسبب الارهاب فان ثمن الحصول على دولة سياسية تسودها اليهودية تماما كان فادحا بالنسبة لهرتزل وزملائه ٠ وفى مجال الاختيار للعودة الى فلسطين فقد كتب الصهاينة على انفسهم « الخسران ان فعلوا ذلك والخسران كذلك ان لم يفعلوا » ان مجرد عزل أنفسهم عن العرب يعنى انكار مستوى معيشة مرتفع للعرب واذا اندمجوا مع العرب اقتصاديا فان ذلك يعنى تحسين مستواهم الاجتماعى والمعيشى ٠ وان الحرمان النسبى فى مجتمع طبقى يؤدى الى تزايد عدم الارتياح والبؤس حتى ولو كان هناك تزايد الرخاء الموضوعى(٦) ٠

وقد يقول البعض ان هذا يصور لنا الاختيارات الاسرائيلية بصورة تشاؤمية ولكن اذا توفرت زعامة عربية مسئولة وزعامة صهيونية أفضل فان قيام تبادل اقتصادى بعيد يؤدى وظائفه أمر يمكن بلوغه بين الوحدات الاسرائيلية السياسية المنعزلة والوحدات العربية ومهما انتزع من الملكيات العربية ـ حسب التصور هذا ـ كان يمكن رعايته وأخذه فى الاعتبار وقد يتمتع الاقتصاد العربى بنمو ملحوظ بوجود دولة يهودية كشريط تجارى مجاور يتسم بالنشاط ٠

ان الزعامة أو القيادة السليمة تستطيع فى الحقيقة أن تحدث تغيرا ولكن القيود السياسية والاقتصادية سوف تمزق وتحطم أفضل الزعامات واذا كان الدليل على هذا الموقف ظاهر من النتائج ، اذن فالنتيجة واضحة جدا ، فالعرب يكرهون اسرائيل كما يشعرون به تجاه الاستيلاء الظالم غير الشرعى على فلسطين ٠

هل المشكلة تكمن فى الحصول على السلاح ؟

سواء كانت الجماهير تعلم بانها ضللت من قبل زعمائها الديماجوجين أولا ، الا أن تلك الجماهير قد تورطت فى صراع ونزاع حقيقى مع المصالح اليهودية الصهيونية ٠

ويجب أن يبقى الانسان كذلك احتمال تزايد الصراع وتفاقمه بسبب التكنولوجيا والسياسات التى طرأت عليه من الخارج ٠ فلو كان الشرق الأوسط يعوزه السلاح كما كان الحال عام ١٩٤٩ فانه من الجائز أن نتصور فرصة اكبر للسلام ٠

وبالمثل يمكن القول بان تفاقم الصراع وتصعيده من الممكن أن يقل اذا لم يكن للاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أهدافا ومصالح فى المنطقة ٠ لقد تدفقت الأسلحة الكثيرة من الخارج الى تلك المنطقة بصورة لم يكن يحلم بها أو يتصورها انسان من قبل عام ١٩٤٩(٧) ٠ ان معارك الدبابات فى حرب ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فاقت كل معارك الدبابات فى الحرب العالمية الثانية فى العدد ، ان معارك الدبابات فى صحراء سيناء خلال حرب ١٩٦٧ اشترك فيها عدد يعادل ٥ أضعاف جميع الأسلحة المدرعة والتى كانت عاملا حاسما فى معركة شمال أفريقيا فى العلمين عام ١٩٤٢ هذا الى جانب كميات هائلة من القوة المحمولة جوا التى تدفقت على المنطقة كى تكمل القوات المدرعة ٠

ان الصحارى مسارح طبيعية لحرب المدرعات واستخدام التكنيك الجوى ، ويقل فيها عدد العوائق التى تحد من التدفق الطليق لمعارك الدبابات والتى يحدث خلالها ، ان البحث عن الموقع يشبه غالبا الحرب فى عرض البحر أو تمويه الأهداف الأرضية والحيلولة دون رؤيتها من الجو ٠

السياسة الهجوميـــة والسياسة الدفاعيـــة :

ان التركيز الصحيح ليس على كم الأسلحة المتاحة ولكنه ينصب على تأثيرها الهجومى أو الدفاعى(٨) • ويمكن تعريف الأسلحة الهجومية بأنهـا تلك التى تعطى ميزات للذى يتحرك ضـد مواقع العدو بدلا من الانتظار فى مواقعها فى وضع الاستعداد • أما الاسلحة الدفاعية فيمكن تعريفها بانها تلك التى تساعد القوات على البقاء فى مواقعها فى أمان • وقد يكون هناك شىء من الخلط ولكن المحصلة النهائية ـ لسوء الحظ كانت دائما فى صالح الأسلحة الهجومية ومن هنا تغرى بالحرب وتشجع عليها •

فالطائرات الهجومية البعيدة المدى تغرى بالهجوم ، ذلك بأنها تخترق أجواء العدو فجاة وتستطيع أن تتعامل حتى مع قواته الارضية على غـير انتظار ، اما الطائرات القصيرة المدى فلها أثر عكسى اذ تظهر فاعليتها فقط اذا نقلت اليها المعركة وليست قادرة على نقل المعركة الى أرض العدو ، ان الطائرات التى تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل هى نفس الطائرات التى تستخدمها القوات الأمريكية ، وهى تتميز بقـدرة تحميل عالية ، ومدى أطول ، وامكانيات كبيرة لم يكن يتصورها كثير من المراقبين ، خاصة فى الطائرات القاذفة ـ المقاتلة التكتيكية ـ ومن هنا نلاحظ أن الولايات المتحـدة قدمت امكانيات هجومية لحليفتها اسرائيل • ومن ناحية أخـرى نجـد أن الاتحاد السوفيتى قدم طائرات قصيرة المدى اعتراضية لمصر وسوريا وقـد يكون سبب ذلك أن الاتحاد السوفيتى اعتاد أن يبيع تلك الطائرات بأعداد كبيرة لحلفائه أو بسبب تخرف الصناعات الحربية السوفيتية من أن تكشف أسرارها ونتيجة لكل ذلك فان امدادات السلاح السوفيتى تساعد على وجود حالة من الثبات ولا تتيح للعرب فرصة الاغارة الجوية فى العمق •

أما على الأرض فقـد تختلف الصورة ، بمعنى أن امدادات السلاح السوفيتى كبيرة فى هذا الشأن ، وبما تتميز به دباباته الثقيلة ، وعلى أى حال فيجب النظر الى الدبابة ، كسلاح يقدم ميزة هجومية ، كما أن قدرتها على الحركة تتيح حشد العدد الكبير منها على الخطوط الامامية بغتة ، ودون انتظار ، وتقدم الولايات المتحدة دبابات لاسرائيل كذلك ، ولكن هذا لا يصحح الخلل فى التوازن بل بالأحرى أنـه يؤزم الموقف ويغرى بالضرب وخـلق الأزمات •

ان انتشار ومبيعات الدبابات فى الشرق الأوسط يسهل شرحها وتفسير لأن هذه المنطقة الصحراوية هى بالتاكيد « بلد الدبابات » وقد يكون هناك مبررات لانتشار الدبابات وتوزيعها ٠

ومع ذلك فتوجد تكنولوجيا حربية تجعل الحرب الهجومية أقل اغراء حتىولو كانت فى الصحراء ٠ اذ أنه لو كانت القوتان العظميان لديهما الكثير مما يقدم فى مجال السلاح المضاد للدبابات حتى يقدموه لعملائهم مع قلة عدد الدبابات فان ذلك كان من الممكن أن يقلل من قيام حربى عام ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ وفى مثل هذه الظروف قد يجد الجانبان الاستعداد للبحث عن حل سواء كان مفروضا أو طبيعيا وقد ظهر اتجاه جديد يميل الى السياسة الدفاعية وذلك بعد اختراع القذائف الموجهة المضادة للدبابات والتى استخدمت بفاعلية كبيرة فى نهاية حرب ١٩٧٣ (٩) ٠ وقد جعلت هذه من الدبابات هدفا سهل التدمير فى حروب المستقبل وظهر تاثير دفاعى مماثل عندما أنتجت القذائف أرض جو (سام) والتى قدمها السوفيت لحلفائهم العرب وهذه القذائف تقلل من فاعلية الطائرات التكتيكية مستقبلا ٠ ويمكن اطلاق هذه القذائف من على ظهر جندى مشاة واحد ونظرا لما تقدمه هذه القذائف ، فانها تشكل شبكة دفاعية قوية ٠

من المناقشة السابقة حول سياسة الهجوم والدفاع ، يجب ألا نغفل حالة الموقف نفسه ، ومدى ثباته واستقراره من عدمه ٠ فمثلا اذا وجد الجانب العربى الفرصة للهجوم بالدبابات نظرا لاحساسهم ـ أى العرب ـ بالعدد الوفير منها لديهم نجد أن اسرائيل لديها تفوق جوى واذا كانت السيادة الجوية الاسرائيلية قد قلت فاعليتها بسبب الصواريخ أرض ـ جو فان ذلك قد يغرى العرب بالهجوم ٠

ومن السابق لأوانه تقييم المعانى الكاملة للتكنولوجيا ، الحقيقة الموجهة فى الشرق الأوسط ، ولكن يمكن القول بأن كثرة التدفق فى الاسلحة الهائلة ، يقلل من احتمالات الحرب ، أكثر مما يشجعها ٠ ان الاسلحة يرتفع ثمنها يوما بعد يوم وتفرض بذلك أعباء باهظة على العرب واسرائيل طالما ظلت المواجهة بينهما قائمة ٠

تـــكاليف الحـــــرب :

ان المظهر الثانى لامدادات السلاح الخارجية فى الشرق الأوسط يتمثل فى التكلفة التدميرية للحرب ويمكن أن نقدم تقييما جوهريا بصورة مختلفة ، ان الرقم القياسى غريب الى حـــد ما ٠ أن حروب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ كانت طبيعية قصيرة ومن ثم لم تكن باهظة التكاليف فى عمـــر الاسلحة المفقودة ولا حتى فى المجال المدنى فى أى من الطرفين ٠ وبدأت حرب ١٩٧٣ بشىء مماثل ولكنها أخذت فى التباطؤ اذا قورنت بسابقتها ولكنها أظهرت ن الخسائر فى الجانب الاسرائيلى تبدو أكثر خطورة ٠

وهناك ملاحظتان يجدر ذكرهما ٠ ان الاطراف المشتركة فى حـــروب الشرق الأوسط على الرغم من وصولها الى حالة الصفر الا أنها كانت حريصة على الا تضر المراكز المدنية لدى الطرف الآخر ٠ وعندما ترى أن كلا من القاهرة وتل ابيب لم تتصفا بالقنابل فيجب اعادة النظر فى التصريحات التى ترى أن العرب والاسرائيليين مختلفان تماما أو على طرفى نقيض ٠

والملاحظة الثانية ، هى أنه يجب أن نتذكر مقارنة الخسائر ، وتكاليف التدمير ، لأى حرب تقتصر على ساحة القتال ، بالحجم الصغير لســـكان اسرائيل ، الذين يبلغون الآن حوالى ٣ مليون بحجم سكان سوريا ـ حوالى ٧ مليون ـ لأنه اذا فقدت اسرائيل ٢٠ رجلا فى معركة مدتها يوما واحدا ، فان هذا يعادل ١٦٠٠ رجلا فى جيش الولايات المتحـــدة ، ولذلك فانه بالرجوع الى الوراء يرينا لماذا ترددت الولايات المتحدة فى تحمل تكاليف حـــرب الاستنزاف فى فيتنام وهذا بدوره يلقى ضوءا على مدى فداحة العبء الذى تحملته اسرائيل فى حرب الاستنزاف ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ ٠

واذا ارتفعت نفقات الحرب بشكل خيالى وزاد الأمل فى ابتعاد العدو عن شبح الحرب فانه من المحتمل أن تقل فرصة قيام الحرب ٠ اذ نظـــرا لاستخدام كلا الطرفين النيران التقليدية المتزايدة ، فلا عجب أنهما يستخدمان قواعد الحرب المحدودة التقليدية ولكن اذا فكر أحد الأطراف فى ادخال الأسلحة النووية الى الشرق الأوسط فان الحاجة الى حل لنزع وظروف الاستقرار تكون قوية طبقا للمفهوم الاسرائيلى ٠

وتتبع فرصة الاستقرار الجزئى من مبادرة الرئيس السادات من ناحية وقدرة اسرائيل على تصنيع الأسلحة النووية من ناحية اخرى ، تلك الأسلحة التى تشبه ما كان فى صورة الترسانات السوفيتية والامريكية ابان الفترة من ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ ولقد قام الاسرائيليون بهذا العمل بدون مساعدة أمريكية مقصودة بل فى الواقع ضد النوايا الامريكية ، والمصدر الخارجى الذى حصلت منه اسرائيل هو فرنسا التى انشأت مفاعل دايمونا والاسرائيليون حريصون على ألا يذيعوا امتلاكهم لمثل هذه الاسلحة صراحة • كما انهم لن يفجروا اى قنبلة للاختبار وانما يهدفون الى اتاحة الفرصة للشائعات والتلميحات بأن اسرائيل لديها مخزون كبير من كذا وكذا من القنابل العديدة، ثم ترتب عن كثب وقع هذه الشائعات على العالم العربى •

وأن هذا الوقع و التأثير ليس من الصعب معرفته فمنذ عام ١٩٧٣ نجد اتجاها متزايدا لدى الزعماء العرب فى الاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود • ونظرا لتحسين الوضع العسكرى فى الجانب العربى وازدهار الوضع الاقتصادى الناجم عن عائدات البترول فان هذا التحول الى صياغ المصالحة ليس أمرا مدهشاولكن التفسير العارض يكمن فى حقيقة ان سنوات الشائعات عن الأسلحة النووية الاسرائيلية قد اتت ثمارها ويبدو أن العرب أخيرا قد أدخلوا فى روعهم أن نصر معركة الدبابات الكبرى فى صحراء سيناء لا يكفى لالقاء الاسرائيليين فى عرض البحر المتوسط • ان التاثير النووى الذى فرض على القاهرة ودمشق وبغداد ومكة أمر لا يمكن تحمله •

التكاليف الاقتصادية للسلاح :

والأثر الثالث لا مدادات السلاح فى الشرق الأوسط هو أن هذه الأسلحة تفرض حالة من الاستنزاف على مستوى المعيشة فى دول المنطقة •

ومع ذلك فانه من الأمور الجدلية فى السياسة هو صعوبة الاختيار بين مضاعفة الاسلحة والاستزادة منها او تخفيضها وكبح جماح السباق بمعنى أن هذا السباق فى التسلح يسرق الموارد المالية لهؤلاء المواطنين •

واذا خفضنا تكاليف سباق التسلح من الجائز أن تشعر الدول العربية واسرائيل بحريتها فى الحصول على أحدث ما أنتجته الصناعات الحربية

بدون استنزاف • علاوة على ذلك اذا افتقرت الدول العربية بسبب تخصيص حكوماتها ميزانيات للاغراض العسكرية فان هذا يعطينا مؤشرا عما اذا كانت هذه الدول تقبل الحل الوسط •

ان هنـــاك أمل خادع يجب أن نتخلى عنه دائما اذ ليس هنـــاك من الشواهد فى أى مكان ما يـــدل على الارتباط بين زيادة الرخاء والرغبـــة فى السلام ، واذا عثر الانسان على الطرق التى تقضى على الفقر بين المصريين والسوريين والفلسطينيين ، فلا يعنى هذا تماما أن يؤدى الى السلام ، بـل ببساطة قـد يغذى شهوة أكبر فى الانتقام • قد يؤدى الأمريكيون الســلام فى الشرق الأوسط بنفس القـــدر الذى يؤيدون الرخاء ولكن الهدفين لا يمكن دمجهما بسهولة • ان الرخاء فى الشرق الاوسط يمكن تشجيعه بسهولة كافية اذا جاء لهم السلام مجانا •

تبـــادل اشـــارات العـــداء :

اذا كانت امدادات الســـلاح تجعل احتمالات الهجوم أقـــل احتمالا وجاذبية ، لكن مجرد قبول دول الشرق الأوسط لهذه الاسلحة يشكل اهانة أو تهديدات لدول أخرى فى المنطقة ، انه يوحى بعدم الثقة ، بل وفقـدانها ويشبه اشارة الشك التى تزكى دائما حالة النزاع ، وليست الاشارات هنا بالطبع متماثلة ، فمثلا حصول اسرائيل على السلاح معروف أنه موجه ضـد العرب ومن ناحية أخرى قد يكون يبدو حصول العرب على السلاح موجه ضد اسرائيل وقد يؤخذ على محمل آخر بأنه موجه من نظام عربى ضـــد نظام عربى آخر أو أنظمة أخرى غير عربية مثل ايران وأثيوبيا أو بعض الدول التى تقع فى صحراء أفريقيا •

وعند مناقشة حالة الاستقرار فى الشرق الاوسط دائما تجدر الاشارة وبصفة متكررة ــ الى الصراع العـربى الاسرائيلى • ان الأسلحة التى تجـدد هذا الشك ليست فى صالح حل النزاع •

وحيث ان قبول المعدات الحربية من الخارج ، يعتبر اشارة عـــداء متبادلة بين دول الشرق الاوسط ، ولكن ماذا تعنى تلك الاشارة ، بالنسبة لأولئك الذين قدموا هذا السلاح وعلى الاقـــل فان جانبا منهما لم يلجأ الى

اتباع التحالفات الرسمية بحيث يكون التزود بالسلاح هو همزة الوصل الرسمية بين الدولتين ٠

لقد ناقشنا حتى الآن مدى التزام الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تجاه المنطقة لأسباب متنوعة ٠ ان الوضع الجيوبيوليتيكى قد لا يلعب دورا هاما الآن ، واذا عن لموسكو أو واشنطون أن تهتم فعلا باغلاق مضايق تيران فانه من المهم أن يعرف الآخرون بهذه النية ٠ ان موسكو وواشنطون تتجهان الى وضع « العربات قبل الخيل » كما حدث فى مناطق أخرى فى العالم وتوزيع مبيعات السلاح(١٠) ٠

ان هناك اذن نوعان واضحان من الاشارات تنتقل الى تحويلات السلاح ، وهى اشارات عداء ، واشارات التزام ٠ ان اشارات العداء بين العرب واسرائيل ، تعتبر مصدر ازعاج ، أما اشارات الالتزام بين الولايات المتحدة والسوفييت فيمكن اعتبارها سلعة أكثر رواجا ، وقد يرحب الانسان بمثل هذه الاشارات ، اذا كانت فى صالح ولخير شعوب المنطقة ، وعندما يطردون من أذهانهم سوء الفهم حول نوايا القوى العظمى ٠

ان تركيز القوى العظمى ، يكون فى مجرد التعرف على الاستجابات التى يحتمل حدوثها ، خاصة العلاقة بين قوى عظمى واحد رعاياها ، من ناحية ، أو أن يكون عميلا من ناحية أخرى ٠ ان كلا الأمرين سواء فى مسألة الولاية أو العمالة وقد تجر الدولة العظمى الأخرى الى التدخل ٠

هل المشكلة هى الافتقار الى المعلومات ؟ :

اذا رجعنا الى سبب المشكلة يجب أن نتساءل ما اذا كان الاتجاه هو امدادات السلاح ؟ وعند تحليل سباق التسلح ، فى مناطق أخرى ، فان هذا المظهر بالذات يعتبر مصدر المشكلة ، وعندما تراقب الأمم بعضها البعض ـ كما هو الحال فى اتفاقية لندن وواشنطون حول حدود الاسلحة البحرية ، فانه يحدث التزام ، وتمسك ، بهذه الحدود ، وعدم تجاوزها ، وعندما لا تراقب الأمم بعضها البعض فان الغش الشائع والفشل فى نزع السلاح تكون أمورا متوقعة ٠

ان غياب الرقابة المتبادلة له شكلان • أولهما أن يكون هناك موقف يتسم بالحذر المتبادل بين الاسرائيليين والعرب فان أى واحد من الطرفين لن يثق فى الآخر اذا حصل على السلاح وثانيها فان حالة مشابهة من عدم الثقة يمكن أن تنشأ بين الدول التى تقدم السلاح •

والعكس صحيح بمعنى أن أى طرف يقدم السلاح سوف لا يضمن لنظيره على الجانب الآخر من أن يتوقف عن هذه الامدادات •

ولكن الحقائق لا تميل الى تأييد هذا التحليل ، للمشكلة ، لأن مبيعات السلاح فى الشرق الاوسط لم تتخذ ولا تميل الى اتخاذ طابع السرية ـ ويرجع هذا ـ جزئيا ـ الى أن اراضى المنطقة ، تتيح فرصة طيبة للاستطلاع الجوى، ـ ويرجع ـ فى جزئيته الاخرى ـ الى أن المجتمعات العربية ، لم تجتمع بعد حقيقة على شىء يمكن أن يوصف « بالشمولية » كما هو الحال فى الاتحاد السوفيتى • ان المعلومات تتسرب ، والصحافة العالمية تستطيع الحصول على معلومات واعية ، عن شحنات السلاح • ان وضوح وصراحة سباق التسلح فى الشرق الاوسط يعكس أيضا الايضاح والتصريح السابق الذكر • فاذا أراد السوفيت مفاوضة تشيكوسلوفاكيا على صفقة أسلحة فانها لن تكون تلويحا سريا •

وبالنسبة لأى تفسير من التفسيرات السابقة نجد أن حالة الشرق الأوسط بالذات وحصول السلاح وتدفقه اليه نتيجة الافتقار الى المعلومات ليس أمرا مقنعا • اذ قد تندلع الحرب فى المنطقة بسبب طبيعة السلاح •

هل المشكلة فى السياسة البيروقراطية ؟ :

ان البحث العميق فى تحويلات السلاح الى المنطقة تجده لا يرجع الى السرية العالمية للقضية، ولكن فى الممارسات الاجتماعية والاقتصادية والبيروقراطية • فالاستثمارات فى مجال الصناعات الحربية فى الولايات المتحدة يهمها أن تقدم الاسلحة لاسرائيل وبقية دول الشرق الاوسط ومن الناحية الأخرى نجد نفس الاهتمام من جانب الاتحاد السوفيتى • هذا بالاضافة الى عمليات صنع القرار فى كل من اسرائيل والدول العربية والتى

تنصب أساسا على الاهـــداف والمصالح الخاصـــة والبيروقراطية لهـــذه المجتمعـــات ٠

ولا داعى للدخول فى تفاصيل هذهالنقطة الآن ٠ ويرى المتحدثون باسم الصهيونية أن العداء العربى الاسرائيلى مرجعه الى عدم الكفاية البيروقراطية فى الدول العربية ولذلك فان اسرائيل تصف نفسها بأنها كبش الفداء والتى تحاول أن تبعـد أذهان الجماهير عن المشاكل الداخلية ٠ أما الماركسيون فيرون فى اسرائيل صورة استعمارية امبريالية نشأت عن أوجه القصور فى الاقتصاد الرأسمالى(١١) ٠

وبالنظر عن قرب الى الدوافع البيروقراطية سواء فى الجانب الامريكى أو السوفيتى نجد أن هناك دليلا قويا بأنهما من المناصرين الأقوياء للتورط فى الشرق الاوسط ٠ وقد نجد فى الاتحاد السوفيتى أفراد عسكريين يعتنقون فكرة الجنرال براون بأن الشرق الاوسط هو عبء أكثر منه ميزة وهم بصفة خاصة لا يميلون بأن يربطوا مستقبلهم العسكرى بهذه المشكلة التى تعتبر مغامرة فى منطقة مضطربة لا يمكن التنبؤ بابعادها ٠

وقد يكتشف الانسان مشكلة هامة تتعلق بالسياسة الانتخابية أكثر من تعلقها بالسياسة البيروقراطية فى اسرائيل ٠ فالملاحظ أن نظام التمثيـل المستخدم فى برلمـانات اسرائيل ومجالس وزرائها غالبا ما يعطى أهمية حيوية للأحزاب أو الجماعات الصغيرة كما سبق ايضاح ذلك ٠ وبذلك فان هـذا الوضع يجعل حكومات اسرائيل أقـل حـرية فى تقديم التنازلات ٠ والصفة الغالبة على جميع الانظمة العربية ـ بالطبع ـ لا تعتمد على أى شىء يمكن أن يوصف أنه انتخابات بالمعايير الغربية ٠ ومع ذلك فان هـــذه الانظمة ضعيفة بالصورة الانتخابية ذلك بسبب أن رئيس النظام لا يحكم بالسلطة الكاملة التى تتسم بالعنف فحسب بل الى جانب ذلك يحاول تهدئة الاحزاب الصغيرة الذين قد يحاولون الاطاحة به من خلال انقلاب عنيف ٠ وينطبـق هـذا على النظم السياسية العربية برمتها بصورة أو بأخرى ٠

الصـــور العـــامة للتـــدخل :

واذا نحينا جانبا المشاكل الخاصة او الحلول الناشئة عن الصناعات

الحربية وتدفقها الى الشرق الاوسط يجب أن يكون هناك شيء من التدبر في الاسئلة العريضة التي يفرضها وجود قوة خارجية . ان الاسرائيليين على أهبة الاستعداد للادعاء بأن تدفق الاسلحة الروسية هو الذي جعل العرب يشكلون تهديدا لاسرائيل . ومع ذلك فقد استغل الاسرائيليون الوجود السوفيتي لضرب الانظمة العربية ببعضها فان الخوف من المد الشيوعي يسيطر حقيقة على دول عربية تقليدية مثل السعودية والاردن على وجه التحديد الأمر الذي حدى ببعض الدول العربية أن تفقد الثقة . بل ولا توافق على التعاون مع موسكو . ليس هذا فحسب بل تلمس هذا الاتجاه حتى في الأنظمة العربية الاكثر راديكالية والتي أدى التعاون بينها وبين موسكو ونوعية هذا التعاون أدت الى أحداث انقسامات وخلافات .

واذا تبادل الانسان المواقع : يكون السؤال هو : هل يوجد نفس الاحساس تجاه الوجود الامريكي ؟ والاجابة انه اذا كانت الاسلحة الامريكية ضرورية لاسرائيل فان الخوف من وكالة المخابرات المركزية والاشكال الاخرى للامبريالية الامريكية لم تثني اسرائيل عن عزمها والتفافها حول قضيتها . كان بالطبع وقت من الاوقات عندما كان الاسرائيليون منقسمون حول بعض الافكار في اسرائيل عن مدى الدور الذي تستطيع أن تلعبه في الحرب الباردة وفكر البعض في تبني آراء مماثلة في حين كان الكثير من الاسرائيليين يفضلون الحياد . وتلك كانت السنوات التي أظهر فيها الاتحاد السوفيتي تعاطفا كبيرا مع اسرائيل . ولكن السنوات الاخيرة من حكم ستالين والتي كانت تتصف بمعاداة السامية وما تلا ذلك من الالتزام السوفيتي المادي لمصر قد غير كل ذلك وعمليا فقد وحد اسرائيل خلف سياسة خارجية ليس أمامها الخيار الا أن تتصادق مع الولايات المتحدة .

أما بالنسبة للروابط الممكنة بين اسرائيل والعرب المعتدلين . يرى قليل من المعلقين أن هذه الروابط أصبحت مستحيلة « لأن الحرب الباردة ذاتها قد انتقلت الى الشرق الاوسط » أو لأن اسرائيل أصبحت شبكة لاتخاذها قاعدة لوكالة المخابرات المركزية والعسكرية الامريكية . لقد انقضت التعبئة التي جمعت المعتدلين العرب وزاد المتطرفون العرب غضبا وثورة ليس لأنهم يرون في أن اسرائيل تعمل لصالح أمريكا بل لأن أمريكا هي التي تعمل لصالح اسرائيل .

والملاحظ فى الواقع فى الشرق الاوسط عدم وجود تحالف رسمى بين الولايات المتحدة واسرائيل حتى فى الوقت الذى كانت تسعى فيه أمريكا لعمل أحلاف على نطاق واسع فى أماكن أخرى · ان غياب الاتفاقيات الامريكية وكذا القواعة والعسكريين يمكن تفسيره ـ كما ذكرنا آنفا ـ الى تردد اسرائيل فى الدخول فى معمعة الحرب الباردة بل لقد حدث فى سنوات أخيرة أن ظهرت الرغبة فى ايجاد علاقات مع بعض الدول العربية ـ علاقات وروابط يستحيل أن تحدث اذا اختارت الولايات المتحدة أن تكون حليفا وشريكا صريحا للصهيونية ·

ولتقييم وقع التدخل الخارجى على النزاع العربى الاسرائيلى قد يخطر للانسان أن يفكر فى بعض الحالات البديلة ـ التى لا يتدخل فيها أى من الدول الكبرى ·

أولا : ماذا يكون الوضع فى حالة تدخل الاتحاد السوفيتى فقط ؟ يجمع كل المعلقين فى اسرائيل وفى غيرها على أن ذلك يعتبر كارثة لاسرائيل نظرا لأن العرب ان آجلا أو عاجلا سوف يستخدمون السلاح السوفيتى لاجتياح القوات الاسرائيلية هذا الى جانب التفوق العددى فى الجانب العربى ·

ثانيا : ماذا يكون الوضع اذا تدخلت الولايات المتحدة فقط ؟ ان معظم الاسرائيليين يرون أن تدخل الولايات المتحدة ، لا يشبه تدخل الاتحاد السوفيتى ، بل وأن المناصرين للاسرائيليين فى الحكومة الامريكية يرون أنها تقسم بالتساوى أى تعطيهم سلاما ولا تحرم منه العرب بل ان الولايات المتحدة قد ترغم اسرائيل على تقديم تنازلات بالنسبة للاجئين العرب والأراضى العربية وهكذا · واذا لم يكن هناك تدخل الاتحاد السوفيتى فمن الجائز أن تقوى وتتحد معارضة العرب لاسرائيل ، وبسبب الحرب الباردة قد تكون الولايات المتحدة ، أقل تحيزا لاسرائيل ومن وجهة النظر الاسرائيلية فان الصورة النموذجية هى ألا يكون هناك تدخل أجنبى · ومن وجهة النظر العربية فان الصورة المثلى هى تدخل أحد القوتين الاعظم لصالح أحد الطرفين فقط · أن النتيجة السيئة هو أن لا يكون هناك تدخل على الاطلاق بل ما هو أسوأ من ذلك أن يكون هناك تدخل متوازن من الاتحاد السوفيتى

فى جانب العرب ، والولايات المتحدة فى جانب اسرائيل ، وعند القيام بعملية تقييم ، يجب أن نميز تـــدخل القوى الكبرى على شكل تدفق أسلحـة ، والتدخل بصورة نشطة ، ومحاولة تشكيل والتأثير على حل الصراع ٠

والسؤال الآن كيف يستطيع العرب واسرائيل تصور ذلك : ان تفـاقم الصراع كمـــا ناقشنا من قبل راجع الى امدادات السلاح من جانب الدول العظمى ٠ وللوهلة الأولى يمكنك أن تسمع من أحـد الطرفين ايجازا بسيطا للمشكلة وهو :

« أن يكون عندنا سلاح أكثر مما عندهم » معادلة صريحة ٠ وعنـدما يتطرق الأمر الى انتشار الاسلحة النووية تصبح المشكلة غير متوازية ٠ ان امكانية حصول اسرائيل على أسلحة نووية من أجل المستقبل السياسى تفوق فرص حصول مصر أو أى بلد عربى آخر على تلك الاسلحة ٠ أضف الى ذلك أن التلويح بالقنبلة الذرية « كفيتو نهائى » يعتبر بمثابة ردع للعرب وعدم التفكير فى مسألة القاء اسرائيل فى البحر ٠ ان أحـــدا لم يهدد بالقاء مصر أو العراق فى البحر ولكن العرب الى وقت قريب لديهم مثل هـــذا الاقتراح المتطرف بالقاء اسرائيل فى البحر ٠ ان امتلاك السلاح النووى فى أى بلد من هذه البلاد أو فيهـــا جميعا يخلق مشكلات تتصل بامكانية السيطرة على السلاح كما تتصل بالاستخدام غير المسئول له والتهديد بالرعب أو الارهاب النووى ٠ ومن ناحية الاعتبارات الاستراتيجية المباشرة نلاحظ أن وجود قوى ذرية فى اسرائيل يعطى تأثـــيرا لا يمكن للعرب أن يحاذوه أو حتى يبطلوا مفعـــوله ٠

كيف يتصور الطرفان الاقليميان مشاركة القوى العظمى فى ادارة الصراع سياسيا وبعيدا عن امدادات السلاح ؟ عندما تختفى الآمال فى قبول أى حل متبادل أو حل وسط ، تجـد أن بعض الاسرائيليين والعرب يرحبون بالتدخل من جانب الدول الكبرى وقد تكون الولايات المتحدة أكثر صلاحية لهـــذا الدور ، لعدة أسباب ، ولم يلغى الاسرائيليون دور الاتحاد الاسوفيتى تماما ، بل انهم كانوا على استعداد فى وقت ما للتحـــدث مع السفير السوفيتى ٠ وعندما تقل مثل هـــذه الآمال نجد أن اتجاهات كلا الطرفين تأخـــذ طابع التذبذب تبعا لرضاهم عن الموقف ٠ ان اسرائيل فوق كل ذلك ــ قوة بحكم

للواقع والوضع الراهن فى حين أن الدول العربية يرون غير ذلك وفى الفترة بين ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ كان الاسرائيليون يرون أن المنطقة تكون أكثر استقرارا دون مدخلات خارجية نظـــرا لأن الموقف فى نظرهم سوف يقرر نفسه بنفسه • ولكن التشاؤم الذى أعقب عام ١٩٧٣ جعل الاسرائيليين أكثر تقبلا لحـــل مفروض ولكن أيضا بقدر بقليل عما لدى العرب •

الصـــور المحـــددة للتـــدخل :

كيف يستطيع الانسان أن يفرض حلا على الصراع فى الشرق الأوسط بدلا من زيادة تفاقم المشكلة ؟ :

ان أحد الاتجاهات التى تكسب الموافقة لدى الرأى اللعام الامريكى هو الابتعاد عن النزاع والخروج منه ويعكس ذلك الذكريات السيئة لحرب فيتنام التى تجمعت كثيرا حتى وصلت حـد التشاؤم • ويوجـــد قليل من المعلقين ، ممن يرون ألا تتدخل الولايات المتحدة فى أى مكان ولكن تستطيع أن نذكر النتائج السيئة لحرب غير مسيطر عليها فى الشرق الاوسط • ومن الجائز أن تقف الولايات المتحدة بعيدة عن الصراع اذا ضمنت خروج باقى الاطراف وأولها الاتحاد السوفيتى أو مصادر التسليح الاخرى ــ ان الاتحاد السوفيتى قد لا يرغب فى النزاع والحرب فى الشرق الاوسط ولكنه لا يضمن السلام وبذلك لا يستطيع ــ التراخى فى تأييده للموقف العربى فى المنطقة •

وتشير درجة قياس استفتاءات الرأى العام حاليا الى تردد كبير ازاء تدخل الولايات المتحدة بأى صورة من صور التدخل وتشير أيضا الى انخفاض الاعتمادات العسكرية المخصصة لاسرائيل(١٢) • وللأسف لا يوجد استفتاء مماثل فى الاتحاد السوفيتى • ومع ذلك فان المغزى الحقيقى لمثل استطلاعات الرأى هذه من الصعب تحديده ، ان بعض التأرجح أو التذبذب بين العـزلة والتدخل ، تبدو أنها محكومة ، بظروف التقاليد ، أو الأزمات وهناك سبب بأن نخمن بأن المستجيبين للاستفتاء يظهرون عدم رضا عن الاعتماد العسكرى لصالح بلد خارجى الا اذا كان هذا البلد يقع تحت تهديد مباشر فورى ، واذا أصبح التهديد حقيقيا فترصد له مساعدة عسكرية بل تصل الى حـد ارسال القوات • واذا كان هنـــاك تشويه فى القراءات الناتجة عن استطلاع الرأى فيمكن أن نقول أن الامريكيين أقل رغبة فى التدخل الآن خلاف ما حدث فى

السنوات السابقة · ان جميع الحلول المطروحة فى الشرق الاوسط وأزمته سوف تكون صعبة التنفيذ نظرا لأن هناك عددا كبيرا من الامريكيين يؤيدون الحل الذى يتطلب أوفى جهود وبذلك يضمنون وقوفهم خارج حلبة الشرق الأوسط ·

ونوع آخر من الحلول يكمن فى ضرورة محاولة القوى الخارجية تضييق حدود الاسلحة التقليدية بقصد تقليل فرص الاغراء بالهجوم · وهذا لايعنى ايقاف الاسلحة تماما بل انه قد يعنى بذل اهتمام أكبر بما يباع وليس بارسال الفائض أو ما يطلبه أحد الاطراف · ويستحسن بيع الحد الادنى من الاسلحة المحددة فضل من بيع الاسلحة الغير محددة ·

وهناك دور آخر تستطيع القوى العظمى عمله تجاه فرض حل فى الشرق الأوسط وهى أن يتدخل أحدهما أو كلاهما بين أطراف النزاع · ان الحلول البسيطة عادة ما تؤتى ثمارها فى السياسة · ولا يمكننا أن ننكر أن الحرب بين العرب واسرائيل أقل احتمالا اذا لم يصل مستوى أحد الجيشين الى مستوى الجيش الآخر · وقد يكون من المنطقى ان تفسير وجود الفنيين الأمريكيين فى مواقع التصنت فى سيناء فى منطقة الممرات الحيوية ووظيفتهم الاستشعار عن بعد والانذار المبكر بأى هجوم للدبابات المصرية أو العكس بل يمكن القول أن الأهمية تبدو فى التزام الولايات المتحدة بالتدخل اذا حدث هجوم مصرى وقد لعبت قوات الأمم المتحدة نفس الدور فى موقف هذه القوات لدرجة أصبحت من الأمور العادية ولا يعتمد عليها من وجهة النظر الاسرائيلية·

ومع ذلك فان عيوب هذا الدور واضحة كذلك لأن جماهير الشعب الأمريكى لا تريد أن تغامر بوضع شبابها فى حرب مرة ثانية · هذا الى جانب أن الدرس الذى تعلمه الامريكيون من تركيا ودورها فى قبرص ذلك الدور الذى يجعل القوات المعتدية تبتدع الوسائل والحيل للالتفاف حول القوات العازلة أو الفاصلة وبدون قتل اى فرد فيها أو التعرض لادانة عالمية أو التدخل الخارجى · علاوة على ذلك فلو حدث ان لم تكن تفوقت القوات المصرية على الفنيين الامريكيين بل قتلتهم أثناء هجوم مصرى فان مثل هذه القوة الفنية لا تكفى لرفع مثل هذا الهجوم من وجهة النظر الامريكية ·

واذا كان أحد يفكر فى مجرد الحل أو حتى فرضه فلا بد أن نتصور كيف تستطيع الولايات المتحدة والسوفيت اكتشاف معادلة سلام من وجهة نظريهما مع قدرتهما على استخدام الضغوط القوية والتهديدات • ان المساعدات المالية والعسكرية الامريكية لاسرائيل أو المساعدات العسكرية السوفيتية للعرب هى بالطبع مصادر التصعيد للصراع فى المنطقة •

ومن الحلول المطروحة كذلك ذلك الحل الجذرى الدرامى ونعنى به السماح لاسرائيل أن تقترب أكثر فأكثر من مستوى الدول النووية بحيث تسمح لها تلك القوى بالردع وتحافظ على وجودها وتجبر العرب على التصالح معها • ويوجد على الأقل مشاكل قليلة فى هذا الشأن •

أولا : أن الولايات المتحدة سوف تضطر الى تقنين تلك القوة ، وحتى لو ساعد وجود سلاح نووى على استقرار السلام فان فشل الردع النووى قد يكون له أسوأ العواقب • اذ أنه لو جذبت الولايات المتحدة ، ولو جزئيا فى النزاع خشية انتشار السلاح النووى فانها يصعب عليها تهدئة اللعب بهذا السلاح أو انتشاره •

وثانيا : سوف يظل الخوف من أن الردع النووى فى صالح اسرائيل قد لا يؤتى ثماره بسبب أن الفسطينيين ومن يؤيدونهم لن يتوقفوا عن استخدام كافة الأساليب للتدليل على عدالة قضيتهم وهم محقون فى ذلك ويمكن تصور حصول اسرائيل على السلاح النووى اذا حدث ما يمكن وصفه « مذبحة » لاسرائيل أو القائها فى البحر • ولكن الملاحظ فى الهجوم الفلسطينى أن القصد منه هو تحطيم معنويات الاسرائيليين وجعلهم يحزمون حقابهم ويعودون الى أوربا أو أمريكا ولا أحد يستطيع أن يتخذ من هجوم منظمة التحرير الفلسطينية ذريعة لحصول اسرائيل على السلاح النووى ويمكن استنتاج ذلك فى حالة القوى الكبرى والتى لا يفيد امتلاكها لكميات هائلة من السلاح النووى فى الهجوم « القنصى » أو « أسلوب الشكشكة بالدبابيس » • ويؤدى حصول اسرائيل على السلاح النووى الى اتباع سلاح الطيران العربى الاسلوب الانتحارى لضرب مراكز تلك الاسلحة والنتيجة الحتمية سقوط الشرق الأوسط فى حرب نووية •

ولا تعنى هذه الاعتراضات مطلقا احتمال عدم استخدام السلاح النووى • (ان اسرائيل كما هو ملاحظ حصلت على بعض النتائج ـ وأمريكا باعتبارها والى على اسرائيل ـ غير راغبة فى ذلك أو لا تستطيع أن تمنع اسرائيل • ولذا فاسرائيل تحت الضغط الأمريكى تحاول أن تقصر نفسها على الاشاعات والاستعدادات تحت الايحاء الذى يعطى شيئا من الحقيقة لهذه الاشاعات(١٣) •

فلن تحدث تفجيرات ولا تصريحات علنية • الا أن الشائعات سوف تؤثر على مصر ومن الجائز على السعودية وسوريا حتى لو حاولوا ثنى عزم الفلسطينيين •

وقد لا يستطيع الانسان أن يبرهن أو يعرف مدى الدور الذى يستطيع السلاح النووى فى يد اسرائيل أن يفعله ازاء قرار الرئيس المصرى أنور السادات ومخاطبته الكنيست الاسرائيلى فى القدس ، واعترافه باسرائيل ، الأمر الذى ينكره العرب ، ولا يستطيع أحد أن يوافق اسرائيل فى حصولها على السلاح النووى ، كشرط لوجودها حيث ان الاحداث منذ زيارة الرئيس السادات تحد من السلاح النووى كشرط لفرض السلم فى الشرق الأوسط أما قضية الحدود والمستوطنات اليهودية ومستقبل الضفة الغربية فسوف تظل دون حل حتى مع الاعتراف بوجود اسرائيل • ان السلام ليس فى متناول اليد بعد وهو ما أثبتته كافة التطورات الأخيرة •

الشرق الأوسط : هل المشكلة مشكلة حلول مفروضة أم مشاكل مفروضة من القوى العظمى :

ان مشكلة الشرق الأوسط تعنى فى الشكل والمضمون مشكلة النزاع العربى ـ الاسرائيلى وان هذا النزاع سبب الدماء الأولى فى المنطقة ويقال انه اذا تم التخلص من هذا النزاع أو على الأقل التخفيف من حدته فان ذلك سوف يؤثر بالتالى على الشرق الأوسط • وفى الواقع ـ فانه لعدة أسباب ـ نجد أن الصراع العربى الاسرائيلى قد شد انتباه العالم خاصة انتباه العالم(١٤) الغربى • ولذلك فقد حظى بالأولوية فى قائمة التحركات والاهتمامات الأمريكية الدولية والاتحاد السوفيتى والأمم المتحدة وحتى لو لم يوجد نزاع عربى اسرائيلى فان الشرق الأوسط سوف يظل بعيدا عن الهدوء

طبقا لآراء العديد من الباحثين الغربيين وهم يدللون على آرائهم هـذه بأن ثمة عدد من المشاكل تؤثر على المنطقة وهى شديدة الحـدة وتثير الأزمات، كأى بقعة أخرى فى العالم حتى لو لم يكن هناك اسرائيل وحركة قومية عربية معارضة ويندرج تحت هذه التوترات بين الدول العربية مثلا الخـلاف بين جناحى حزب البعث العربى الاشتراكى السورى والعراقى الى جانب الخلافات الاقليمية بين المغرب والجزائر بالاضافة الى مسائل ذات شخصية وطنية لم تحل حتى الآن والتى تتمثل فى الحرب الأهلية فى لبنان ناهيك عن النضال من أجل التجانس السياسى بين السعودية وايران فى منطقة الخليج وفوق كل ذلك القلق السياسى والاجتماعى الذى يقطع كل هـذه المشاكل طولا وعرضا بما فى ذلك النزاع العربى الاسرائيلى(١٥) ٠

ولربما كان النزاع العربى ـ الاسرائيلى يشوه ادراكنا لحقائق الشرق الأوسط عن كثير من التوترات الاجتماعية العميقة الجذور ٠ فمنذ عام ١٩٤٨ تلاقت بعض هـذه الصراعات عند النضال العربى ـ الاسرائيلى ٠ ولقـد طفت هـذه التوترات على السطح أزاء الحرب الأهلية فى لبنان وفى كلتا الحالتين سواء فى النزاع العربى ـ الاسرائيلى أو حرب لبنان الأهلية نجـد انعكاسات واضحة للخلافات التى بين العرب سواء منها الاقليمى أو الايديولوجى أو المختلف التكتيك أو النزاع الشخصى ٠ والواقع أن الخلافات الاجتماعية بين الدول العربية تزداد ظهـورا على السطح فى كلا الموقفين النزاع العـربى ـ الإسرائيلى ولبنان ٠ وعلى الرغم من أن الموقف الأخير ـ أى موقف لبنـان يعكس أغلب التوترات الا أنه لا يتسبب فيها ٠ ففى النزاع الفلسطينى ـ الذى يضع الغربيون له لافته تعرف بنزاع الشرق الأوسط نجـد ظهـور منظمات فلسطينية ذات ايديولوجيات مختلفة منهـا المتـأثر بمـاركس وماوتسى تونج وجى جيفارا ٠ ولقد قاموا بمد أهدافهم ـ الى ما وراء استبدال اسرائيل بدولة عربية ـ الى احداث تغيير ثورى فى كل الدول العربية وتوضح آمالهم كيف أن المشـكلة الفلسطينية تتلاقى مع بعض القلق الاجتمـاعى الأساسى الذى يسود المنطقة بأسرهـا ٠ ان فهم الربط بين ما يعرف بنزاع الشرق الأوسط وترتيب المشاكل الأخـرى فيه امر ضرورى قبل أن يصبح التفكير فى فرض أى حـل ذو مغـزى مقبول(١٦) ٠

ولاعطاء هـذه المناقشة صفة الثبات من الضرورى اختبار مشكلة الحلول سواء كانت مفروضة أو غيره بمنظور تاريخى يتسم بشىء من العمق ، وفى الواقع لقـد اكتسبت المنطقة شخصية متميزة ٠

ولا يكفى فقط أن نتبع مشكلة فلسطين واسرائيل بل لا بد من تتبع كل نظام فى كل دولة عربية تقريبا وأثر ذلك على التدخل الخارجى فالعراق وسورية ولبنان والأردن ليست لها خلفية تاريخية أصيلة ـ فجميعها كيانات حديثـة نسبيا فرفضت على الخريطة القديمة للامبراطورية العثمانية من قبل رجال السياسة فى كل من لندن وباريس وبينمـا اكتسبت كل دولة فى المنطقـة شخصيتها ٠ بما ذلك اسرائيل ـ خلال الجيلين أو الثلاث الأخيرة(١٧) الا أنها اكتسبت أيضا قوة دفع بسبب التأييد الأمريكى غير المحدود لاسرائيل ٠

ومنذ الحرب العالمية الأولى نجـد أن التطورات السياسية الرئيسية فى الشرق الأوسط قـد تأثرت بالتدخل الخارجى من جانب بريطانيا وفرنسـا أولا ثم من جانب أمريكا والاتحاد السوفيتى ٠ ومن أمثلة التدخل الخارجى ذلك الخط الذى أثر على مجريات الأحداث فى تلك البلاد بما فى ذلك تقسيم قوات الحلفاء الامبراطورية العثمانية الى دويلات هى التى نرى حدودها اليوم ٠ وكما يرى البعض فان تورط الولايات المتحدة فى تحويل مصر من ملكية الى جمهورية الذى بدأ بثورة مصر وتأثيرها البعيد المدى على دول الشرق الأوسط ٠ أما دور وكالة المخابرات المركزية فى اقصاء حكومة مصدق فى ايران واستمرار الملكية هناك لمـا له تأثير اقليمى ٠ وقبل الرحيل عن الخليج شكلت بريطانيا العظمى حدود الدول وأنظمتها فى تلك المنطقة والتى لا زالت دون تغيير بالاضافة الى ذلك نجـد أن خطة تقسيم الأمم المتحدة الأصلية التى قسمت فلسطين الى دولة يهودية اسرائيلية وأخرى عربية أعطت الشخصية بل والاعتقاد فى امكان قيام دولة اسرائيل(١٨) وهو حـدث من أحـداث العـالم المعاصر ٠

ان تدخل كل من الغرب وروسيا ازاء فرصة المشاكل والحلول فى الشرق الأوسط أصبحت مسألة حياة هناك لمدة قرن ونصف وان مثل هـذا التدخل والفرض لم يبدأ من جديد عقب الحرب العالمية الثانية كجزء من الحرب الباردة

بين السوفيت والأمريكيين فسوف تظل هـذه المنطقة منطقة تدخل وفرض طالمـا ظلت لها أهمية حيوية تدعو الى التدخل ٠

ولسوف يتخذ هـذا التدخل متغيرات فى الدرجة والمـــدى وعلى عكس الموقف منذ قرن مضى أو بعد الحرب العالمية الأولى لم تعد دول المنطقة واقعة تحت كونسورفتيوم دولى وقـد تسببت الاختلافات بين الدول العظمى فى خلق عقبه فى فرض حل يتفق عليه دوليا ٠ وفى الوقت الحالى نلاحظ أن الطـــاقة الناتجة عن البترول وعائداته ــ وربما تكون موقوته ــ عامل خطير يستلزم تفكيرا فى التعامل مع دول الشرق الأوسط ولذا فان عمليات الاحباط أو التوازن تنمو كى تبطل مفعول التدخل الخارجى ٠ ويمكن القول أن دور روســيا فى المنطقة يتصف بالنظام وعكس ما يقال الكثير عن العلاقات الدولية فى هـــذه المنطقة نجـد أن روسيا ليست دخيلا جديد ٠ ان السوفيت لم يظهروا على مسرح الأحداث فجأة عام ١٩٥٥ عقب صفقة الأسلحة مع مصر ، ان روســيا كانت فى المنطقة منذ التوســع الامبراطورى القيصرى الذى ابتلع شرائح أو قطاعات من الشرق الأوسط فى القرن التاسع عشر ونتيجة لاحتلال الامبراطورية القيصرية الاقاليم العثمانية والفارسية ، يوجد حاليا كثير من المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ، عدد يزيد عن العدد فى العالم العربى ، وبالقدر الذى يتكلم فيه مواطنون سوفيت اللغة التركية والفارسية ، نجـد قدرا مماثلا يتحدثون هاتين اللغتين فى تركيا وايران ، ان منطقة وسط آسيا السوفيتية هى جـزء مكمل ثقافيا وتاريخيا وجيوبوليتيكى(١٩) للشرق الأوسط وخلال القـرن التاسع عشر كانت القوات الروسية وبحريتها نشطة فى منطقة « الليفانت » (أى سوريا ولبنان) وفى الحرب العالمية الأولى حيث وعدت كل من بريطانيا وفرنسا روسيا باعطائها المضايق التركية وذلك ضمن اتفاقية القسطنطينية عـــام ١٨٨٨ ٠

ويرجع الاضطراب فى النشاط الروس أثناء الفترة بين الحربين العظميين الى التطور الكبير أو الانسحاب من جانب السياسة السوفيتية الخارجية عندما لعبت موسكو دورا خاملا نسبيا ٠ وفى نهاية الحرب العـالمية الثانية وصعود روسيا من جديد كقوة عظمى نشطت ديبلوماسيتها مرة ثانيـة فى الشرق الأوسط خاصة فى تركيا وايران وبحلول عـــام ١٩٥٥ لم يقتنـع

الاتحاد السوفيتى بالقوة أو السيطرة الاقليمية بل بدأ فى التأكيد على دوره العالمى فى الشرق الأوسط وهى ساحة منطقية لمثل هـذه الممارسة فى السيطرة من منظور جيوبولتيكى ٠

ان السياسة السوفيتية فى الصراع العربى الاسرائيلى كانت مقسمة بالاتساق والوضوح بقدر الامكان ٠ ان هدفها كانت تقليل النفوذ الغـربى خاصة أمريكا دون تعريض نمط علاقاتها مع الغرب سواء فى الشـكل أو فى التعايش السلمى ٠ ان صورة مصر وسوريا كدول تدور فى فلك الاتحـاد السوفيتى ـ والتى اتخذت اللون الاحمر على الخريطة العالمية والتى انتشرت على نطاق واسع فى أواخر الخمسينات كانت ببساطة صورة غير دقيقة ـ وعندما وجـد العرب والسوفيت مصالح متبادلة تلاقت سياستها الخارجية ولكن لم تتلاقى الأنظمة السياسية والايديولوجية أو مواقف الولاء وعندما تتعارض المصالح تتعارض معها السياسات(٢٠) ٠

ان السياسة السوفيتية تجاه اسرائيل واضحة تماما انهـا تختلف بوضوح عن سياسة منظمـة التحرير الفلسطينية ٠ وفى تعقيب من جانب واضعى النظريات السوفيت حول مشروع برنامج الحزب الشيوعى السورى فى مايو ١٩٧١ لاحظ الروس ما يلى :

« ان اسرائيل حقيقة ٠٠٠ وان شعار ازالة اسرائيل ليس سليما ليس فحسب من الناحية التكتيكية ولكن من ناحية المبدأ أيضا ومن الجائز النضال ضـد العنصرية داخل دولة اسرائيل وسماتها الرجعية وطبيعتها الاستعمارية ولكن ليس من الممكن التحدث فى موضوع ازالة اسرائيـل »(١٢) ومنـذ عام ١٩٦٧ أصبحت سياسة الاتحاد السوفيتى قائمة على القرار رقم ٢٤٢ الصادر عن الأمم المتحدة ٠ ولذا تطلب روسيا انسحاب اسرائيل الى الحدود السابقة على الحرب وليس لحدود خطة التقسيم لعام ١٩٤٧ وطبقا لمـا ذكره ف٠ فلاديميروف : « ان الاعتراف بالحدود الجغرافية القائمة قبل حرب ١٩٧٣ كحدود نهائية بين اسرائيل والدول العربية يشكل الأساس المعقول الوحيد للوصول الى تسوية فى الشرق الأوسط ٠ واذا نظرنا الى هـذا من وجهة نظر القانون الدولى فلا يوجد حدود معترف بها بين اسرائيل والبلاد العربية » ٠

ولذا فان قيام هذه الحدود قد يعنى تقدما كبيرا فى العلاقات العربية ـ الاسرائيلية وقد يحسن الى حد كبير من الموقف السياسى برمته فى الشرق الأوسط(٢١) ، كيف يمكننا السير الآن على ضوء الاعتبارات الآتية :

(أ) ان الصراع العربى ـ الاسرائيلى ذو طبيعة فذة سياسيا واجتماعيا فى المنطقة ٠

(ب) ان القوى العظمى بما فيها الاتحاد السوفيتى موجودة فى المنطقة وجزء منه ٠

(جـ) على الرغم من استخدام اصطلاحات شفوية الا أنها شائعة مثل التدخل «والرفض» الا أنها حقائق فى حياة الشرق الاوسط المعاصر ٠

فى الحقيقة ان الحل الأمثل يجب أن يشمل انسحاب الدول العظمى من النزاع العربى ـ الاسرائيلى ان لم يكن من المنطقة بأسرها ٠ الأكثر واقعية واحتمالات فى الحدوث هو تغير نمط التسوية التى فرضت من قبل القوى العظمى متمثلة فى القرار رقم ٢٤٢ ٠ وتقريبا ان كل اقتراح للتسوية سواء كان عربيا أو اسرائيليا ، سوفيتيا أو أمريكيا يتخذ تصورا ما بالتعديل أو الاضافة والخطة التى اقترحها وزير خارجية أمريكا وليم روجرز ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ولجنة أصدقاء أمريكا والخطط المصرية والسوفيتية المختلفة وخطة حزب المابام فى اسرائيل وحتى خطة وزير خارجية اسرائيل الاسبق ايجال الون كلها ترتكز على القرار ٢٤٢ ولسوء الحظ فالذى يحدث غالبا ـ بصرف النظر عن الاختلافات الجوهرية فى مضمون الاقتراح ، ان الذى يضع الاقتراح وتوقيته ونغمته هو الذى يقرر النجاح أو الفشل لهذا الاقتراح وفى الشرق الأوسط نلاحظ أن النفسية أكثر من التعقل هى العامل المحدد فى حل القضايا ، ولذا نرى نجاح الوسيط الدولى للأمم المتحدة رالف بانش عام ١٩٤٩ وكذلك وزير الخارجية هنرى كسينجر كان يرجع الى قدرتهما على استخدام العوامل النفسية أكثر من العوامل المنطقية(٢٢) ٠

وسوف يستلزم اقامة سلام دائم فى المنطقة جهدا كبيرا لتحريك القضايا نحو الحل مرة ثانية ومن الممكن أن يكون صورة لخطة ايجال بخطوة لتنفيذ

القرار ٢٤٢ وسوف يتضمن هـذا انسحاب اسرائيل من المناطق التى احتلتها عام ١٩٦٧ خاصة المأهولة بالسكان الى جانب مرتفعات الجولان وسيناء ومن خلال شكل ما من أشكال نزع السلاح الى وجود قوات تضمن هـذا النزاع فان اسرائيل تستطيع الاحتفاظ بسيطرتها على حدودها الآمنة • وفى المقـابل هـذه العملية المبدئية تشتمل على عـدم الاشتباك وتخفيف القيـود ان لم يكن فتحها على الحدود والتخفيف المستمر على القيود والشحنات المـاره خلال قناة السويس الى اسرائيل •• وبعد بلوغ هـذه الخطوات الأولية ـ والتى قـد تستغرق ربما شهورا أو عاما ونصف من المفاوضات ـ يمكن وضعهـا موضع الاختبار فى فترة تجـريبية كى تحـدد الخطوات التالية التى يمكن اتخاذها تجاه الهدف النهائى وهو السـلام • غير أن هـذه الأفكار قـد تعرضت لعوامل غير متوقعـة أو غير محسوبة وبعيـدة عن التصـديق فى الفترة التالية •

تدخل القوى العظمى فى الشرق الأوسط فى الفترة ما بين ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ :

منـذ عـام ١٩٧٧ سادت الدبلوماسة العربية ـ الاسرائيلية حادثتان بل والى حـد كبير أثرتا على السياسة الدولية كلها فى الشرق الأوسط الا وهما انتخاب مناحم بيجين رئيسا لوزراء اسرائيل وزيارة الرئيس السادات الى القـدس فى نوفمبر من تلك السنة ـ واذا أخذنا فى توضيح الأهمية المستمرة لهذين الحدثين وحدود تدخل القوى العظمى فى الشرق الأوسط وسوف نحاول هنا وبايجاز تحليل تلك السلسلة من الأحداث وربطها بالانماط المختلفـة للتدخل الخارجى فى المنطقة وتقييم الآمال المعلقة على هذا التدخل فى المستقبل القريب • والمنافسـة الشاملة المعروضـة هنا والتى ترى أن التطورات السياسـية الأخيرة هى جزء من نمط أو صورة واسعة من تورط الولايات المتحدة وتركيزها على تصفية النزاع العربى الاسرائيلى طبقا لمـا يراه البعض(٢٣) • أمـا السوفيت فيركزون على حدوده • ولم تحدث هـذه الأمور فى كلتا الحالتين من خلال تصميم سابق وسوف نعطى بعض الاعتبار الى السياسات الاقليمية لكل من الدولتين الأعظم قبل وبعد مبادرة الرئيس السادات •

فكرة حديثة عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط :

اتبعت ادارة الرئيس السـابق كارتر أهـداف الرئيس الأمريكى

الأسبق نيكسون فى تصوره لوجود حل وسط فى تسوية النزاع العربى الاسرائيلى وفى مقابل التزام أمريكا تجاه اسرائيل فان ذلك كان من الممكن أن يعرض المصالح الأمريكية الاقتصادية والسياسية والطاقة للخطر داخل العالم العربى • ومع ذلك فان التكتيكات التى اتخذت فى بلوغ هذا الهدف قد تغيرت(٢٤) • فقد لوحظ أن دبلوماسية الخطوة ـ خطوة التى احتذاها كيسنجر نجحت فى خلق محور معتدل نسبيا تجاه الغرب ويشمل هذا المحور القاهرة ودمشق والرياض وبعد ذلك نجحت هذه الدبلوماسية فى شق هذا الائتلاف وذلك بالانتقال السريع والتركيز على الجبهة المصرية (فى المرحلة الثانية من اتفاق فك الاشتباك فى أواخر ١٩٧٧) وهو ما استفادت منه حكومة سوريا كذلك • أما الحكومة السورية نتيجة لذلك فقد تحركت للاقتراب أكثر فأكثر من الدول العربية الراديكالية والاتحاد السوفيتى • علاوة على ذلك فان استبعاد السوريين من الجهود الأمريكية لحل الخلاف العربى الاسرائيلى جعل مصر أكثر تعرضا للهجوم والوصف بالخيانة وأدى هذا بالتالى الى تعريض الاتفاقية بل والموقف الأمريكى للخطر باعتبار أن أمريكا هى المشرفة على حل المشكلة • وتميزت السياسة الأمريكية الحديثة بالبحث عن تسوية شاملة للنزاع العربى الاسرائيلى والتى ربما يمكن تنفيذها على مراحل ولكن لا بد أن تغطى كل القضايا التى تهم الأطراف المشتركة فى النزاع ، وكضمان آخر ضد الانقسام أو التصدع كان المفروض أن يدخل الاتحاد السوفيتى فى أى مفاوضات فى المستقبل •

وقد أدى هذا التصور بأن توجه ادارة الرئيس السابق كارتر الدعوة لاستئناف مؤتمر جنيف للسلام تحت اشراف أمريكا وروسيا على أن تحضره جميع الأطراف وذلك من أجل السلام الحقيقى • هذا الى جانب تركيز أمريكا على المطالب الاجرائية والجوهرية للفلسطينيين الذى يؤدى الى اشراكهم ومساهمتهم فى التسوية الشاملة الى شرعية هذه التسوية خلال العالم العربى•

وقد اتخذت ادارة الرئيس كارتر وجهتها صوب القضية الفلسطينية• ومن الجائز أن الادارات السابقة عليه قد ركزت ولكن بصور متفاوتة فى الدرجة والنوع والاولوية اذ بعد أقل من ٣ شهور من تولى الرئيس كارتر فاجأ العالم بأن الولايات المتحدة تحبذ اقامة وطن قومى فلسطينى ومن الناحية الفعلية مالت الدبلوماسية الأمريكية الجديدة الى جعل الدبلوماسية

العربية ـ الاسرائيلية ، رهنا بمنظمة التحرير الفلسطينية والرئيس كارتر صرح علنا بأن منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جزءا جوهريا بين الأطراف وخلف الكواليس وجد مجهود ديبلوماسى غير عادى بشأن ضمان مشاركة الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف • وكانت العقبة الرئيسية فى ربيع ١٩٧٧ فى هذا الشأن هى الالتزام الأمريكى الصريح فى ألا تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية الا اذا قبلت الأخيرة قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢(٢٥) • وهذا القرار يعنى ضمنا حق اسرائيل فى الوجود فى سلام ولكنه أسقط أى اشارة تخص الفلسطينيين فيما عدا اعتبارها « مشكلة لاجئين » • ولقد بذل مجهود أمريكى هائل بهدف الحصول على قبول منظمة التحرير على القرار ٢٤٢ أو الوصول الى صيغة بديلة لتمثيل الفلسطينيين تكون مقبولة من اسرائيل ومنظمة التحرير • وفى الاجتماعات التى عقدتها منظمة التحرير فى مارس وأغسطس عام ١٩٧٧ قررت انشاء دولة « فلسطينية بدلا من استخدام اصطلاح سلطة النضال الوطنى » فى الأراضى التى يتم الحصول عليها أو استعادتها من اسرائيل ومع ذلك لم تسفر الاجتماعات عن اتخاذ موقف أكثر ليونة فى موقف المنظمة • ولكن المحاولات الأمريكية للوصول الى حل وسط لم تنقطع رغم ذلك •

وفى نفس الوقت نشأت عقبة غير متوقعة فى سبيل استراتيجية الديلوماسية الأمريكية ونعنى بها ما تمخضت عنه الانتخابات الاسرائيلية عام ١٩٧٧ وأتت بحكومة تعهدت بالحفاظ على السيادة الاسرائيلية ولا تعترف بالحل الوسط فيما يتعلق بالأرض التى يفترض أن يقوم عليها الوطن القومى الفلسطينى • وأنهى هذا الانتخاب حكم حزب العمال الذى ساد الحكومات الائتلافية الاسرائيلية منذ ١٩٤٨ وبمجىء حزب ليكود بزعامة مناحم بيجين الى السلطة لأول مرة • ويوحى تحليل انماط الانتخابات الاسرائيلية بأن العامل الأساسى الذى يكمن وراء هذا الانقلاب هو عدم الرضاء الشعبى والتشتت اللذين نشأ عن طول حكم حزب العمل المتصل • وكانت هذه تختص بالذات بطائفة السافارديم المهضوم حقها بصورة مزمنة أو التى تعرف باسم « اليهود الشرقيين » والذين كانوا يشكلون ما يزيد عن نصف الناخبين عام ١٩٧٧(٢٦) • وان السبب المباشر الذى ادى الى اضعاف مركز التصويت لصالح حزب العمل تلك السلسلة من الفضائح التى هزت الحزب خلال الشهور

السابقة على الانتخاب والتى تورط فيها وزير الاسكان « أوفر » ومحافظ بنك اسرائيل « يادلين » ورئيس الوزراء « رابين » وزوجته · وحتى لو كان الانتخاب منصبا على القضايا الاسرائيلية المحلية فان سياسة حزب ليكود هددت بتقويض الخطط الأمريكية علاوة على ذلك فان تدخل الدبلوماسية الأمريكية حول القضية الفلسطينية أضاف الى ذلك احتمال خسارة حزب العمل · ومن ثم فان انتصار بيجين كان يمثل بعض القيود التى فرضت على السياسة فى الشرق الأوسط ·

ان خطة حزب ليكود أكدت على « الحق الأبدى » فى الاحتفاظ بالضفة الغربية بأكملها(٢٧) · ان موقف بيجين الشخصى منذ حرب الأيام الستة هو أن الضفة الغربية ليست أرضا محتلة ولكنها أرض محررة وهى يهودا والسامرا وهما جزء تاريخى من « أرض اسرائيل » والتى تحق لليهود فقط فضلا عن أن القدس هى عاصمة أبدية لاسرائيل ·

ومن تصريحات زعماء الحزب ومنهم بيجين أثناء وبعد الحملة الانتخابية ظهر تأكيد واضح على فكرة أن احتفاظ اسرائيل بالضفة الغربية ، هو أيضا جزء مكمل لحق اسرائيل فى الأمن والسلام(٢٨) · وتجدر الاشارة الى أنه فى عام ١٩٦٧ تمكنت القوات الاسرائيلية من هزيمة جيوش ثلاث دول عربية مجاورة والزهو بالسيادة فوق الضفة الغربية وقد عكست المناقشات التى تلت ذلك رغبة اسرائيل الشديدة واهتمامها بكل ما حصلت عليه خاصة تخوفها من كم وكيف الاسلحة التى لدى الدول العربية والفدائيين الفسلطينيين · بل ان الأهم من ذلك كله كانت تجربة حرب ١٩٧٣ والتى برهنت للاسرائيليين أنهم لا يستطيعوا تكرار والاعتماد على ما حدث عام ١٩٦٧ · وفى مواجهة الهجوم العربى المنسق والغير متوقع كان على اسرائيل أن ترى متسعا من أجل التقهقر الاستراتيجى · وكانت حرب أكتوبر تذكارا لاسرائيل على مدى خطورة السيطرة على أراضى مثل الضفة وغزة تشترك مع اسرائيل فى الحدود والسكان · ان الرأى لدى غالبية الجمهور الاسرائيلى وكذا العسكريين وهم ليسوا متمسكين برأى بيجين بأن التنظيم النهائى لتلك الاراضى ذو أهمية قصوى لأمن اسرائيل فى المستقبل · وعلى المدى القصير ـ ترى من هم قصارى النظر أو الذين يفكرون بمنظور عسكرى

يدعون بأن أسلم طريقة لوضع يرضى اسرائيل هو الاحتفاظ الفزيائى أو السيطرة الطبيعية على الاراضى موضوع الحديث ٠

ان المشكلة مع ذلك أن الاهمية الاستراتيجية هى الاقل مساوية للاهمية السياسية عند سكانها العرب وللدول العربية الاخرى المجاورة لاسرائيل ٠ ان هذه النقطة على وجه التحديد هى التى جعلت حكومة بيجين غير راغبة فى التنازل عنها ٠

وبعد انتخاب بيجين بوقت قصير قام بزيارات مستمرة فى الضفة الغربية ٠ وفى يوليو ١٩٧٧ وافقت الحكومة رسميا على قيام ثلاث مستعمرات يهودية هناك ٠ وعلى الرغم من رمزية هذه الجهود الا أن تصريحات بعض أعضاء حكومة بيجين من أمثال بطل الحرب السابق أريك شارون ووزير الزراعة فيما بعد تشير الى احتمال المزيد من هذه المستعمرات مستقبلا ٠

ومع ذلك فان المناقشات الامريكية ـ الاسرائيلية حول المشكلة الفلسطينية استمرت حيث أن البلدين حاولا تقليل الاختلافات فيما بينهم ٠ وكان المتحدثون الأمريكيون الرسميون مقتنعين بترديد اقتناعهم بضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضى فى نفس الوقت الذى يؤيدون فيه لاسرائيل بالتزامهم بتزويد اسرائيل بالسلاح٠ وحول هذه القضية الاخيرة ظهر اهتمام من جانب ادارة الرئيس السابق كارتر(١٩) ٠

فقد استقبل بيجين بحرارة عند زيارته لواشنطون فى يوليو ١٩٧٧ ٠ والحكومة الاسرائيلية من جانبها قدمت بعض التعليمات القليلة حول تنفيذ مطالبها فى الضفة الغربية على الرغم من أنها أظهرت بعض المرونة ازاء أى مفاوضات سلام مقبلة ٠

الا أن هذه المناقشات الامريكية ـ الاسرائيلية قد حجبها المشروع الامريكى الموازى لتنسيق سياستها فى الشرق الاوسط مع موسكو ٠ وعلى الرغم من التصريح الامريكى ـ السوفيتى فى أكتوبر ١٩٧٧ حول حقوق الفلسطينيين وتمثيلهم فى مؤتمر جنيف الا أن الاسرائيليين بدأوا يفسرونه تفسيرات مختلفة فالمعروف أن المبدأ السوفيتى بشأن الاشتراك الرسمى فى

المفاوضات قد تخلت عنه قبل ذلك بكثير • علاوة على ذلك فان اسرائيـــل كانت أكثر اعتراضا على أسلوب اليد العليا التى صدر بها البيان المشترك وترى أن التفاوض والعرض يوحى بوجود صفقة خاصة عقـــدها الامريكيون والسوفيت على حساب اسرائيل وقد أدى ذلك بأن تتقهقر الولايات المتحدة جزئيا • فقد عقدت جلسة مفاوضات أمريكية اسرائيلية تم وصفها بانهـا ديبلوماسية جديدة • وهذه تتضمن اعادة ذكر اقتراح سابق لادماج بعض الفلسطينيين فى وفـد عربى موحـد فى مؤتمر جنيف •

وفى الواقع نلاحظ أن محاولة القوتين الاعظم فى التدخل فى الدبلوماسية العربية ـ الاسرائيلية بشكل منسق قد أحبطها العميل الامريكى (ويقصد به اسرائيل) ومن ثم فقد تم التغلب على هذه الاعانة من خلال العملاء الاقليميين للاتحاد السوفيتى • وتم نسف كل ذلك تماما من جراء المبادرة الدبلوماسية المصرية ـ الاسرائيلية • ويمكن تتبع جذور زيارة الرئيس السادات المفاجئة للقدس على ضوء ملابسات العلاقات المصرية السوفيتية منذ توليه السلطة عام ١٩٧٠ •

الخلفية الحديثة للسياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط :

ان التركة السياسية التى ورثها الرئيس السادات دون توقع من سابقة تضمن حالة من العلاقات مع اسرائيل يمـــكن وصفها غالبا بانها « حالـــة اللا سلم ، واللا حرب » ، وعلى حد رأى أحد الباحثين الامريكيين « جريمـــة اللا سلم واللا حرب » •

والرئيس السادات الذى كان مركزه الداخلى مهتز نسبيا لدى توليـه زمام الامور فى مصر ، فقد تطلب على الاقل الايحاء بالحركة فى الساحة الدولية الذى أعلن عام ١٩٧١ بأنه « عام الحسم » • وفى هـــذا اعتمد على الاتحاد السوفيتى طلبا للمساعدة وعلى الرغم من ابرام معاهدة صداقة بينهما فى مايو ١٩٧١ فلم يقدم الاتحاد السوفيتى المعونة العسكرية ولا السياسة اللازمة لتغيير موقفه الخطابى الى حقيقة • كما لم يؤدى اكتشافه للسوفيت أو قمعه للمؤيدين للسوفيت وعلى رأسهم نائب رئيس وزرائه الى فتح صفحة مشرقة

فى العلاقات بين السادات والسوفيت وفى المقابل بدأ قرار عام ١٩٧١ بأنـــه استعراضى ليس مع اسرائيل بـــل مع الكرملين • ثم طرد من مصر آلاف من المستشارين العسكريين فى منتصف عام ١٩٧٢ •

والمتوقع اذن أن القوة العظمى المنافسة بلا شك سوف ترغم حليفهـا وهى اسرائيل على اعطاء سياسة السادات الخارجية شيئا من النجاح الذى كان ينشده باستماتة بل ويأس •

ومع ذلك فقد اكتشف السادات أن الولايات المتحدة كانت قانعـة فى ذلك الحين بأن تجعل مشاكله حدا تصل الى درجة التوتر بل والغليـــان فى الشئون الدولية • فوجد الرئيس السادات حينئذ أنه لن يخسر كثيرا اذا قرر الدخول فى الحرب • واشتملت الاستعدادات للمعركة على تقارب مؤقت مع الاتحاد السوفيتى كضمان ضـــد المخاطر والمجازفة الواضحة لمثل هذه المناورة الجريئة ويقصد بها الدخول فى الحرب وقـــد خدمت هذه السياسة الرئيس السادات جيدا فى أكتوبر ١٩٧٣ ولم يمض وقت طويل ـ مع ذلك ـ حتى تحولت مصر الى ما أسماه أحد المتحدثين بسياسة اليد المفتوحة تجاه القوتين الأعظم • وبعد الحرب بشهور قليلة اقترح السادات أن قواتهالمسلحة تستطيع أن تكون مصدرا للسلاح يعتمد عليه أكثر من الاتحاد السوفيتى • وفى الداخل بدأت الحكومة المصرية بوضع اهتمام متزايد على التنمية الاقتصادية من خلال اختيار نموذج الاستثمار الاجنبى وبدأت فى اتخاذ الخطوات العمليـــة لجعل هذا الاستثمار أكثر جاذبية للراسمالية الحرة فى الغرب•بل ان السادات قد تحول الى الولايات المتحدة كمحاولة لحث واشنطون على ممارسة الضغط على اسرائيل من أجل الوصول الى تسوية ترضى مصر •

وكان رد الفعل الأولى لهذا التحول المصرى أثر فى تصعيد ابتعاد موسكو صراحة عن القاهرة واتخذ طابع الدوران فى حلقة مفرغة • لقد غازل السادات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، أما استجابة موسكو فقد اتخذت طابع اذاعة التهم بأن مصر قد باعت أشقائها العرب وهكذا • وقـد كسرت الدائرة بشكل موجز عام ١٩٧٤ • فنلاحظ أن السادات استعاد علاقات منسجمة مع الاتحاد السوفيتى والتى ساعدت بدورها على حصول سوريا على فـــك

الاشتباك على حدود اسرائيل الشمالية(٢٩) ، وحتى لو كانت المصالح السوفيتية والامريكية متعارضة بشكل عام فى الشرق الاوسط الا أنهما لديهم شىء مشترك : ألا وهو تجنب المواجهة المتفجرة التى قد يصعب السيطرة عليهـــا ٠

وفى تلك الاثناء استانفت العلاقات المصرية السوفيتية انهيارها المتدنى فحظر السوفيت امدادات السلاح ، والحكومة المصرية من جانبها تحللت من دفع ثمن الاسلحة السابقة ، وفى نهاية عام ١٩٧٦ تحللت كذلك من اتفاقية الصداقة مع السوفيت ٠ أما فى الداخل استمرت الحملة « ضد الناصرية » ٠ وفى ذلك الوقت نجد أن صانعى السياسة السوفيتية الذين احترقوا للمرة الثالثة كانوا ينظرون أن يشعروا برضا يشوبه الكدر لو تعرضت حكومة السادات للانهيار ٠ وبدلا من ذلك بدأ الاتحاد السوفيتى فى التركيز على تعزيز وجوده من خلال امدادات السلاح وموقفه بين الراديكاليين الآخرين فى العالم العربى ٠ وفى عام ١٩٧٦ بدأت امدادات السلاح أولا الى الجزائر وسوريا وليبيا حيث تركز ١٠٠٠ من الفنيين العسكريين السوفيت ومن أوربا الشرقية وخاصة فى العراق ٠ والتزمت موسكو بتقديم ما قيمته بليون دولار من الاسلحة الى العراق فى مقابل استخدام القاعدة البحرية فى الخليج الفارسى كما حصلت روسيا على تسهيلات بحرية كبيرة فى جمهورية اليمن الديمقراطية (اليمن الجنوبية) عند مدخل البحر الاحمر ويبدو أن هذه الانشطة لم تكن لذاتها ولكن بما تتيحه من فرص لاحراج السادات والاشراف الامريكى على التسوية فى الشرق الاوسط ٠

ان السادات يختلف عن سلفه عبد الناصر الذى كان محركا لفكرة القومية العربية ومع ذلك فقد أعطت الاعتبارات السياسية المحلية الاهتمام المتزايد للتأييد العربى للسادات فى حرب ١٩٧٣ ٠ ان الرئيس المصرى يجد بعض الارتياح فى معرفته بأنه لا يوجد زعيم عربى قوى يستطيع أن يتحداه من الداخل كما أن القلة الفلسطينية فى الداخل لا تستطيع أن تخلق له مشاكل ٠ ولكن كان من أشد الأمور خطورة على حكمه تنبع من الصعوبات الاقتصادية فى مصر أو وصول مفاوضات السلام الى طريق مسدود وللتعامل مع المشكلة الاولى اعتمد السادات وقتئذ على المعونة السعودية من الملك

فيصل · وأسلوب السادات المحافظ والمؤيد للغرب يحول دون تكرار قيام تهديد أيديولوجى أو عسكرى للعائلة المالكة السعودية والذى كان قائما فى ظل نظام عبد الناصر المؤيد للسوفيت · وعلى الجبهة الدبلوماسية فان رغبة السادات فى التقدم المستمر أدى الى خلق اهتمام بالمحافظة على جبهة عربية موحدة على المدى الطويل · وعليه فان السادات كان على استعداد للتسامح ـ مؤقتا على الاقل ـ مع خطر الاغتراب أو العزلة من جانب المعسكر العربى الراديكالى الذى يسانده السوفيت · بل ان الاهتمام الاكبر فى مصر ظهر فى مطلع عام ١٩٧٧ حيث زاد النشاط السوفيتى فى أفريقيا(٣٠) · فمن ناحية كان السوفيت يقدمون المساعدة الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية لمنافسى السادات العرب بل وصل الامر الى امتداد هذا النشاط الى دول مجاورة لمصر لا تتحكم فى المدخل الجنوبى لقناة السويس بل فى النيل أيضا ·

ففى السودان عام ١٩٧٦ قام الشيوعيون المحليون بتأييد من ليبيا بمحاولة الانقلاب الثالثة ضد نظام النميرى المؤيد لمصر · كما تحسنت العلاقات السوفيتية بين ليبيا وأوغندا وفى منتصف ١٩٧٧ وكان المستشارون السوفيت والكوبيون لا زالوا متخندقين فى الصومال الى الحد الذى وصلوا فيه الى تسريب السلاح الى الحبشة حليفة أمريكا آنذاك · وقد ظهر التحذير المصرى من هذه التطورات فى مباحثات السادات فى واشنطون(٣١) · ومن خلال وزير خارجيته فى موسكو · ولم يكن لأى من الجهدين طائل مباشر أو فورى · اذ ظهرت التوترات فجأة على شكل مناوشات قصيرة بين مصر وليبيا فى يوليو ١٩٧٧ ·

ومع ذلك فان وضع مصر العسكرى لم يعطى التطويق المعادى على حدودها خطرا مباشرا على موقف السادات · وعلى المدى القصير لابد أنه ارتاب فى أن تؤدى الاستراتيجية السوفيتية الى اعاقة التقدم الدبلوماسى العربى ـ الاسرائيلى بتشجيع سوريا ومنظمة التحرير على البقاء فى وضع منتج · ولقد تأكد هذا الشك فى سلوك سوريا ومنظمة التحرير ازاء البيان السوفيتى ـ الامريكى المشترك حول الشرق الاوسط فى أكتوبر ١٩٧٧ ·

ان الدعوة لتمثيل الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف كانت فى الواقع تراجعا كبيرا على المواقف السوفيتية السابقة • لقد أهمل البيان ذكر منظمة التحرير بالاسم ومن ثم تحاشى الجدل حول اشتراكها ولذلك صممت منظمة التحرير تساندها سوريا على الحصول على دعوة صريحة • وفى نفس الوقت نجد أن الاتحاد السوفيتى الذى أزعجه التقهقر الدبلوماسى الامريكى من البيان المشترك ـ وذلك بسبب المعارضة الاسرائيلية له ـ هو بالمثل لم يكن يغادر أو يرغب فى أن يوحد صفوف عملائه فى المنطقة • كل ذلك أدى الى اتاحة فرصة تمثيل الفلسطينيين عندما بلغت الجهود ذروة النجاح وتلك كانت آخر قشة جعلت السادات يعلن فى حضور ياسر عرفات بأنه سوف يقوم بانهاء كل تلك المهاترات حول الاجراءات فى الوصول الى جنيف بأن يتوجه مباشرة الى القدس بدلا من ذلك • وان هذا الاختيار الذى لم يخطر على بال أحد يبدو أنه احتفظ به مع الاسرائيليين للجوء اليه عند الضرورة(٢٣) وأسرع متحدث باسم منظمة التحرير قائلا : « بأن البيان السوفيتى الامريكى المشترك هو فى الواقع (الاساس الادنى) لحضور المنظمة الى جنيف » • ومع ذلك فقد فات الاوان حيث رفض السادات التراجع •

ان الخطط السوفيتية ـ الامريكية لوضع المصريين والاسرائيليين فى جنيف على أعلى مستوى لم تكن تعنى انتهاء تدخلهما فى المنطقة أو فى الشئون العربية ـ الاسرائيلية • والملاحظ أن الدبلوماسية السوفيتية قد اقتصرت فى حقيقتها على هوامش هذا الخلاف فى حين أن أهمية التوسط الأمريكى حقيقة هى التى زادت نسبتها •

السياسة الأمريكية منذ مبادرة السادات :

من وجهة نظر صانعى السياسة الامريكية ظهر رد فعل يقظ تجاه الهجوم الدبلوماسى المصرى ليس مشوبا بالجذر فحسب بل بالاعتبارات الواسعة ازاء التطور الجرىء الذى اتخذه السادات من جانب واحد اذ أن دبلوماسيته الجديدة هددت بتقويض أحد الافتراضات الاساسية فى سياسة أمريكا فى الشرق الاوسط بمعنى ضرورة التنسيق مع الحكومات العربية الهامة اذ أراد الغرب الوصول الى استقرار فى المنطقة • ولكى يكسر الانماط المعهودة جازف السادات بزيادة ابتعاده عن الاتحاد السوفيتى والحكومة

السورية والعرب الراديكاليين الآخرين الى جانب استقطاب ما يعـــرف بالسياسة المعتدلة بين العرب وبذلك حيـد من موقف السعودية بل ربما فى النهاية جازف بأمل الوصول الى سلام عربى ـ اسرائيلى شامل • وبعض هذه المخاوف ـ كما ظهر فيما بعد • لم يكن لها أساس على الرغم من جهود أمريكا فى الاعتدال فى دفع مبادرة السادات قدما ومحاولة أمريكا جعلها ذات قنوات متعددة الأطراف •

كان يوجد بالاضافة الى ذلك خوف أمريكى آخر قد يصادفه السادات ألا وهو عدم خطوة الولايات المتحدة بالمشاركة فى حل النزاع والمفاوضات • ولا شك أن سياسة كيسنجر المكوكية بل ومساعديه قد تداركوا ذلك وعلى

اى حال فان ظهور هذا الاهتمام كان سابقا لأوانه اذ ظهرت صعوبة المفاوضات وأن الالتجاء الى التوسط الأمريكى قد طلبه كلا الجانبين مصر واسرائيل •

ولا يقلل من جهود الســادات أنهـــا كانت موجهـة أصـــلا وأكثر الى أمريكا وليس لاسرائيل اذ قد عبر السادات طويلاعن أن مفتاح التسويـــة السلمية فى يـد الحكومة الامريكية وهى الوحيدة التى تستطيع الحصـــول على تنازلات من اسرائيل وان حجم وضخامة زيارة السادات للقدس كانت من وجهة نظر اخرى موجهة على أنها تسعـد الرأى العـام الأمريكى واليهودى الامريكى بالذات ومن ثم تولد حمـــلة للضغط على اسرائيل كى تتجاوب ، بالمثل ان وصف السادات لخطته الاصلية هو قيام مؤتمر من الدول العظمى فى القدس فى نفس الوقت الذى يجتمع فيه مؤتمر ثلاثى فى القاهرة كل ذلك يشهد على ايمان السادات بأن الولايات المتحدة يجب أن تشترك فى المباحثات المصرية ـ الاسرائيلية •

ونلاحظ أن السادات وضع فى اعتباره الرأى العام الاسرائيلىوسياسته فى دبلوماسيته الجديدة ، ومن الجائز أن انتخاب بيجين خلق مناخا للســلام المصرى اذ ادرك السادات أن الحكومة الحالية تختلف عن سابقتها وقـــد لعب السادات على هذه النقطة منذ البداية فمثلا أصر السادات على الاستماع ومقابلة المعارضة أثناء زيارته لاسرائيل وبعد ذلك اجتمع مع شيمون بيريز بل ومع عيز وايزمان وزير دفاع حرب ليكود وقتئذ مع الحفاظ على اتصالاتـــه مع بيجين بل وهجومه عليـــه •

ان المقصود بكل هـــذه الجهود هو الولايات المتحـدة ومن تصريحات السادات نرى أنه يأمل أن تؤدى الانقسامات الداخلية الى اقامة آسفين بـين اسرائيل والولايات المتحدة وبالتالى قد ينتج عنها زعامة جديدة عن بعد ٠

ان المباحثات المباشرة مع مصر لم تتقدم كثيرا الا بعد أن طلبت اسرائيل من أمريكا بذل مساعيها الحميدة وبالنسبة للاسرائيليين كانت مبـــادرة السادات ذات ميزتين الأولى الاعتراف باسرائيل وقبولها والثانية أنهـــا تعطى اسرائيل فرصة المساومة على الارض دون تدخل من الدول العربيـة الاخرى أو الكبرى ٠ وقد أدت تلك الجهود فى النهاية الى ما يعرف بالحـــكم الذاتى الفلسطينى فى « الضفة الغربية وقطاع غزة »(٣٢) وهى التى تعثرت فيمـا بعـــد ٠

وقد عكس مسار المفاوضات أوجه التفاضل المصرية الامريكية من ناحية وأوجه التفاضل لدى اسرائيل من ناحية أخرى وكانت النتيجة محيرة قليـلا للمراقبين ٠ ويرجع ذلك جزئيا الى أن طابع السرية الرسمى قـــد ضم على تفاصيل المفاوضات ويرجع فى جزئيته الأخرى الى أن المشتركين فى المفاوضات كانوا غير قادرين على تحديد مواقفهم ازاء بعض القضايا ٠ فقـــد تذبذبت المواقف أما بسبب تغـير فى الجوهـــر أو بالمساومة أو التكتيك المؤقت أو الاستفادة من الاعتبارات السياسية المحلية والعربية ٠

ويقع تحت النقطة الاخـــيرة محاولة اسرائيل تفسير القـــرار ٢٤٢ وسياستها حول المستوطنات التى توصف بانها سياسة التوقف ـ والسير فى بناء المستوطنات اليهودية فى الأرض المحتلة هذا الى جانب هجوم السادات من آن لآخر على الزعمـاء الاسرائيليين ٠

ونعلم بأن السؤال الجوهرى على مائدة المفاوضات كان مدى العـلاقة بين مصر سيناء والضفة الغربية والسادات شخصيا سواء فى خطابه فى الكنيست أو مابعده رفض فكرة قيام صلح مصرى ـ اسرائيلى منفصـــل ٠ ولربما كان قانعا باتفاق ملموس حول استعادة سيناء خاصة كانت مصحوبة باتفاق حول المبادىء بالنسبة للقضايا الأخرى٠والاسرائيليون من ناحيةأخرى

حاولوا عبثا أن يثنوا السادات بعيدا عن هـــذا الالتزام الخاص باستعادة السيادة المصرية على كل سيناء باستثناء قطاع غـــزة • وقد أثر ذلك على المستعمرات الاسرائيلية على طول البحر المتوسط والاحمر وسواحل سيناء ويمكن اعتبار تلك المناطق مناطق عازلة تحت راية الامم المتحدة • ومع ذلك فان اسرائيل لم تقـــدم أى عرض يختص بالانسحاب من غـــزة أو الضفة الغربيـــة •

وعندما تشدد الرئيس السادات ربما من تشجيع أمريكا أو السعودية قامت الحكومة الاسرائيلية بتشديد موقفها ازاء المساومة •

وفى بداية عـام ١٩٧٨ بينمـا جولة المفاوضـات الأولى جارية أعلنت الحكومة الاسرائيلية توسيع مستعمراتها فى سيناء وقد يكون ذلكللاستهلاك المحلى الاسرائيلى وربما يكون مقيدا فى المساومة من تنازلات عربية فى الضفة الغربية • وفى نفس الوقت ظهر عامل جديد دخل الصورة ولكن على شـكل تـــدخل أمريكى دبلوماسى متغير بعض الشىء اذ قـرر صانعوا السايسة الامريكية فى النهاية التخلى عن سوريا ومنظمة التحرير وتركهم لتصوراتهم مؤقتا وركزوا بدلا من ذلك على الأردن الذى ظهرت علامات جـديدة تدل على مصلحته فى الاشتراك فى المفاوضات • وان مثل هذا التطور كان نعمة ونقمة على اسرائيل فى آن واحد والتى كانت تفضل ان تظل مسالة الضفة الغربية معلقة • وقد خدم هذا كثيرا من أصدقاء أمريكا فى المنطقة مثل السعودية وفى أول يناير ١٩٧٨ قابل كارتر الملك حسين فى طهران ثم السادات فى أسوان حيث تم الاتفاق على الاستراتيجية الجديدة(٣٣) • وقد علم بعد ذلك أن اعـــلان المبادىء من جانب مصر واسرائيل لم يشمل الاردن فى المفاوضات صراحة • وحيث أن الامل فى حصول السادات على تسوية مقبولة فى سيناء ، نجده قدر التشكك فى جدوى المحادثات المباشرة متوقعا أن يؤدى التوسط الامريكى الى تغير فى موقف اسرائيل • وهى الفترة التى طلب السادات أن تكون الولايات المتحدة « شريكا كاملا » فى أى مباحثات مقبلة • وفى منتصف ١٩٧٨ وفى تطور آخر أكثر رمزية انهى السادات الاتصال مع اسرائيل وطلب انسحاب الوفـد العسكرى الاسرائيلى من القاهرة •

وبعـد هذا الموضوع حاول المبعوثون الأمريكيون مداومة الاتصال بين

الطرفين ولكى تحصل من اسرائيل على التزام محدد ولو من ناحية المبـــدأ بالانسحاب على الاقل من جزء من الضفة الغربية • وكان التقدم بطيئـــا • وعزت اسرائيل الى القرار ٢٤٢ بأنه لا ينص ولا ينطبق على الضفة الغربية بتاتا • وبعد ذلك بعد دفع الولايات المتحدة لها وافق مجلس وزراء اسرائيل على مناقشة « طبيعة العلاقات بين الاطراف » المشتركة فى مستقبل تـــلك الأراضى ولكن بعـد فترة انتقال مدتهـــا ٥ سنوات تظـل فيها السيطرة الاسرائيلية هى السائدة • وبعد ذلك وافقت الحكومة الاسرائيلية على التفكير فى موضوع السيادة فى الضفة الغربية فى جولة المفاوضات الجارية وان اسرائيل سوف تناقش موضوع « التقسيم » أو « الحل الوسط الاقليمى » فى الضفة الغربيـــة ولكن بعض المتحدثين باسم الحكومة طلبوا تأجيـــل ذلك بعض الوقت(٣٤) ولكن ذلك لم يمنع من التزام اسرائيل بالتحديد بالانسحاب •

وعلى المستوى العملى نلاحظ أن السياسة الاسرائيلية بشـــأن اقـــامة المستوطنات فى الأرض المحتلة لا زالت تعمل • الا أنه حدثت بعض التغيرات ، ففى فبراير ١٩٧٨ ذكر غانس وزير الخارجية الامريكى ان اقامة المستوطنات فى سيناء عمل « غير شرعى » ويجب « ازالتها » أما الحكومة الاسرائيلية فترى شرعيتها الا انها وعدت بعدم انشاء المزيد منها ولكنها لم تلتزم بهذا الوعـد سواء فى سيناء أو الضـــفة •

ان الفجوة الواسعة التى تفصل بين اسرائيل وأمريكا فضلا عن مصر يجب ألا تحجب عنا التحول الجوهرى الذى حدث لدى الموقف المصرى اذ وافق على ربط الضفة بالاردن خلال الفترة الانتقالية على الاقل ، وفى يوليو بعد الاجتماع بوايزمان فى أوربا صرح السادات لأول مرة أنه من الجائز تصحيح الحدود فى الضفة الغربية(٣٥) ومنذ ذلك الحين ونظرا لخيبة أمل السادات فقد رفض التفاوض الا باشراف أمريكا وعقـــد صلح ضم وزراء خارجيـــة الدول الثلاث فى قلعة ليدز بانجلترا ولكن لم ينتج عنه شىء ظاهر • وبعـد وبسبب دفع الامريكيين وافق السادات على حضور مؤتمر قمة ثلاثى مع كارتر وبيجين فى كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨ •

واذا نظرنا الى الدور الأمريكى فى الدبلوماسية العربية الاسرائيلية منذ

مبادرة السادات نلاحظ أنها تراوحت بين اتخاذ موقف الوسط أو الوسيط ، وأن التأثير من هذا النوع ساعد على تحريك الدبلوماسية المصرية تجاه الرغبات الامريكية من اجل تسوية صريحة شاملة. أما التنازلات الاسرائيلية على الرغم من بطئها الا أنها كانت جوهرية خاصة لو عرفنا البنية الاساسية لحزب ليكود بمعنى أن الانسحاب الاسرائيلى من معظم سيناء واعطاء الفلسطينيين حكما ذاتيا مدنيا تحت الحكم العسكرى الاسرائيلى وحتى احتمال بعض الانسحاب الاسرائيلى من الضفة الغربية ـ ان الرسميين الامريكيين يرون أن اسرائيل تتسم بشىء من العناد ازاء المبادرة التى أظهرها السادات كما انهم يرون أن السادات قد قدم الكثير الآن كما أن العاطفة العسكرية والسياسية والشعبية المصرية قد اتسمت بالصبر فيما عدا حالات استثنائية قليلة . ومع ذلك اتخذ السادات عدة خطوات علاجية ضد التصدع بل انه أحيانا يظهر تقدما أكثر من اللازم من آن لآخر سواء نحو السلام أو بعيدا عنه . وعلى ذلك فيمكن أن يتوقع البعض ان تمارس أمريكا ضغطا أكثر على اسرائيل من أجل التنازلات فهل تحقق ذلك بالفعل ؟ .

وفى تلك الفترة كانت ممارسة ضغط أمريكا على اسرائيل كانت تقتصر على الاحتجاج الدبلوماسى والاقناع وأحيانا التهديد بتغيير اتجاه المفاوضات أو تدهورها ومع ذلك تلمح التهديد الضمنى الذى يلوح فى الخلف ألا وهو مشكلة امدادات السلاح .

ان قضية السلاح الأمريكى جاءت عام ١٩٧٧ عندما صدر اقتراح عن الادارة الأمريكية يعلن عن مبيعات السلاح خاصة المقاتلات النفاثة الى كل من مصر والسعودية واسرائيل وذلك كاجراء يدل على تحول السياسة الامريكية وتصوراتها عن مصر بعد رحلة السادات الى القدس لدرجة أن هذا الموضوع لم يثر اهتمام الكونجرس . أما مبيعات السلاح للسعودية فقد لاقت معارضين وأنصار فى الكونجرس وتعقدت المناقشات مما كان يتوقع معه اعاقة الصفقة مع السعودية وكان بعض اعضاء الكونجرس غير سعداء بسبب ما بدا انه محاولة للالتفاف حول قانون المساعدة والامن الدولى لعام ١٩٧٥ والذى عدل فيما بعد وأعطى الكونجرس الحق فى رفض مبيعات السلاح الفردية الكبرى . كما عارضت الحكومة الاسرائيلية سواء فى تحويل السلاح

بل فى نوعيته كذلك • وفى النهاية وكما هو متوقع دائما تم الوصول الى حل وسط • ان ادارة كارتر اتخذت طريقها داخل الكونجرس ولكنها غيرت من مظهر العملية قليلا بحيث تبيع لاسرائيل طائرات أكثر كما أعطت تأكيدات خاصة بأن السعودية سوف تقوم بتوزيع طائراتها الجديدة بشكل دفاعى فى المقام الأول وكرر بعد ذلك نائب الرئيس مونديل تأكيده السابق بأن الولايات المتحدة لن تستخدم « المساعدات العسكرية الهامة » كشكل من أشكال الضغط على اسرائيل(٣٦) •

ان المعنى الحقيقى لهذا الالتزام هو بالطبع معرض للتفسيرات المختلفة • ومع ذلك فان صانعى السياسة الأمريكية هم على وعى كامل بكيفية استخدام السلاح باعتباره وسيلة للضغط على اسرائيل • فمثلا تأخير امدادات السلاح أخيرا ساعد على استخلاص بعض التنازلات من اسرائيل مثل قبولها مبادرة روجرز لعام ١٩٧٠ الخاصة بوقف اطلاق النار وأثناء وقف اطلاق النار المحلى الفاشل عقب الاسبوع الاول من حرب أكتوبر وكذلك المرحلة الثانية من فك الاشتباك عام ١٩٧٥ • ومع ذلك فان الضغط بايقاف السلاح له ساوئه اذ أنه يؤثر على الالتزام الامريكى فى هذا الصدد ليس فى اسرائيل وحدها ولكن فى مناطق أخرى فى العالم تكون أمريكا قد التزمت معها بشىء من هذا القبيل • ان الضغط الامريكى مثلا يتأثر كذلك بالسياسة الداخلية فى أمريكا • ولا يستطيع أحد أن ينكر عناد الاسرائيليين أنفسهم الذى يكن له صانعوا السياسة الامريكى كل الاحترام(٣٧) • وان هذا الاهتمام الاخير يصبح أمرا هاما فى مدى اعتماد اسرائيل على أمريكا اذا تعرضت لتهديد مباشر • ومن ناحية أخرى فان اعتماد اسرائيل فى المواقف الحرجة قد يدفعها الى الالتجاء الى الاختيار النووى الذى يعتقد ان تمتلكه اسرائيل • وفى النهاية تظهر مشكلة رد فعل الطرف الثالث أن المزيد من الضغط على اسرائيل يهدد باثارة ، ــ كما حدث فى الماضى ــ وتصعيد مطالب الدول العربية أو من جانب الاتحاد السوفيتى • ولهذا السبب فقط فان الحل المفروض من المحتمل أن يكون شيئا خادعا ومراوغا الى الابد وفى الحقيقة فان السياسة الأمريكية ترى توازن القوى فى صالح اسرائيل هو شرط يرغم العرب على الصلح سعيا للسلاح ووجهة النظر هذه أفسحت المجال أمام القيود على كم وكيف السلاح لاسرائيل ، وعلى أية حال فانه يبدو من ادارة كارتر أن مبيعات أو صفقة

الطائرات لم تكن فى الاصل تدخلا فى المفاوضات المصرية الاسرائيلية انهـا كانت بالأحرى عرضا أو علاقة على نمط جديد من التورط الامريكى فى الشرق الاوسط فالولايات المتحدة الآن متورطة بشدة احيانا بالتنسيق المكتسب مع بعض حلفائها فى مبيعات السلاح أو البناء أو المساعدات الفنية أو التدريب أو التجارة مع دول الشرق الاوسط المصدرة للبترول والدول الصديقة المجاورة ويشمل هذا البرنامج حاليا وجود عشرات الآلاف من الفنيين والمستشارين الأمريكيين اللازمين بتشغيل المعدات العسكرية • علاوة على ذلك فان صفقات السلاح تعتبر جزءا من العلاقات الكلية التى أصبح لسعر البترول ومستوى انتاجه وعائداته دخل فيها فمثلا مشتروات السلاح الايرانية والسعودية تعتبر طريقا واحدا لاعادة دولارات البترول الى الولايات المتحدة • وهناك دولارات بترولية أخرى تنفقها السعودية على مساعدات مالية للانظمة المجاورة مثل اليمن الشمالى والصومال اللذان تحولا الى الغرب •

بل ان أهم وأنجح الأمثلة جميعا مصر نفسها والتى ساهمت أمريكا فيها وقتئذ ببليون دولار سواء فى شكل قروض أو منح خلال السنوات الثلاث الماضية ومثل هذه المعونة الخارجية تساعد السادات على حل المشكلات الاجتماعية مثلما حدث فى مظاهرات الغذاء عام ١٩٧٧ وسبب المشكلات الاجتماعية اقتصاد مصر المنهوك والمدين • وفى هذه النقطة حاولت أمريكا دفع السعودية كى تصبح شريكا فى الشئون العربية الاسرائيلية • وعلى الرغم من عدم تأييد السعودية لسياسة السادات صراحة الا أن « سياسة الريال » السعودى سوف تلعب دورا مستمرا فى لعب دور التوسط أو الاعتدال بين العرب • وفى النهاية فان النفوذ السعودى وتورط سوريا فى لبنان قد يؤدى بأن تعود سوريا الى المعسكر المعتدل • ومع ذلك فانه منذ قطع العلاقات بين سوريا ومصر فان سوريا قد ظلت كثيرا على هوامش النشاط الامريكى فى المنطقة • بل على العكس اصبحت اكثر الدول الأولى بالرعاية من جانب السوفيت سواء فى امدادات للسلاح أو التأييد الدبلوماسى •

السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط منذ مبادرة السادات :

لا يعرف الكثير عن دوافع السوفيت أو سلوكهم فى ساحة السياسة

الخارجية بخلاف نظرائهم من صانعى السياسة الأمريكية ، فلا بد أنهم ـ أى السوفيت ـ قد بوغتوا برحلة السادات الى القدس والتى كسرت كل القواعد التى وضعوها لمؤتمر جنيف • وعندما أدانت الحكومات العربية الثورية حركة السادات رفض السوفيت طلبه بعقد مؤتمر فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٧٧ • ومنذ ذلك الحين يبدو أن السوفيت قد اقتنعوا بأن مبادرة السادات بل والسادات نفسه ـ وقد كبر من النفوذ الأمريكى فى المنطقة ـ قد يتعثر فى النهاية وقد يأتى خليفة للسادات يتجه للسوفيت طلبا للعون ، وفى ذلك الوقت قدم السوفيت ما يستطيعون كى يباركوا ويؤيدوا جبهة الرفض • كما أكدت موسكو فى وجودها على أطراف المنطقة ذلك الوجود الذى عجل بمبادرة السادات فى المقام الأول •

ان جبهة الرفض العربية لا هى متحدة ولا هى تحت سيطرة السوفيت وقد تجشمت الكثير من المجهود فى التنسيق بين تلك الدول • بل كثيرا ما حدث حتى من قبل الدول الاقل تطرفا رفضهم لاحياء مؤتمر جنيف بل للسياسة الامريكية والسوفيتية معا • ومع ذلك فقد استمرت الحكومة السوفيتية تقدم السلاح والتأييد الدبلوماسى وذلك فى مقابل درجات متفاوتة من الولاء السياسى أو الوصول الى الموانىء العسكرية والمطارات وبعض العملة الصعبة ـ وقد تم كل ذلك على الرغم من شجار الرافضين الدعوى واستمرار علاقاتهم بالغرب وروابطهم به • وعلى وجه العموم نلاحظ أن المبادرات السوفيتية الدبلوماسية كانت تركز على استراتيجية المنافسة مع الغرب وعلى أى حال فان الاتحاد السوفيتى كان مكرها على قبول صداقة الرافضين بدلا من أو على حساب دبلوماسية القوى الكبرى فى الشئون العربية ـ الاسرائيلية •

ومن بين جميع الأطراف موضع البحث نجد أن الطرف الذى أقرب الى خط المواجهة هو الطرف الاقل تطرفا ، فمنظمة التحرير والسوريون على وجه الخصوص كانوا تواقين للوصول الى تسوية عن طريق المفاوضات وبذلك يمكنهم الاحتفاظ بجسور مع الغرب الى جانب علاقات معتدلة مع السوفيت• ولا زالت منظمة التحرير منقسمة ازاء موضوع السلام مع اسرائيل • ويرجع هذا الانقسام الى عامل ديمجرافى فالفلسطينيون الذين كانت عائلاتهم موجودة

قبل حرب ١٩٦٧ يطالبون بالعودة الى اسرائيل أما الذين هم من الضفة الغربية فيستطيعون أن يتصورا وطنهم القومى فيها ٠

أما استجابة منظمة التحرير نحو العالم الخارجى ونحو مبادرة السادات فتأخذ طابع الذعر التام ٠ كما أن اغتيال يوسف السباعى فى فبراير ١٩٧٨ وهو صحفى مصرى مشهور ومن المؤيدين للسادات ساعد على غربة وابتعاد منظمة التحرير عن الحركة الفلسطينية المنظمة ٠ بل ان هناك ما كان له نتائج أخطر بسبب تلك الغارة الارهابية التى خرجت من جنوب لبنان بعد مقتل السباعى بشهر وترتب عليها الغزو الاسرائيلى الواسع النطاق لجنوب لبنان ٠ حقيقة خرجت قوات منظمة التحرير المحاربة سليمة الا أن قواعدها قد تحددت وأصبحت تحت حماية ورحمة السوريين ٠ وقد دعا ذلك الى أن يصرح بعض الرسميين فى المنظمة بما فيهم عرفات عن رغبتهم فى اقامة دولة فلسطينية من خلال مفاوضات التسوية الجارية ٠ ومع ذلك فما زال عرفات يواجه تشققا مرا بين فصائل المقاومة وأن الاتجاه المعتدل الذى يتزعمه يعتمد أكثر من قبل ٠ على السوفيت سلاحا وحماية بل وتأييدا دبلوماسيا ٠

والسوريون من جانبهم حاولوا أن يتبعوا خطا مستقلا فى مواجهةعمليات الاستقطاب من جانب القوى العظمى التى حركتها مبادرة السادات ٠ اذ أن الأسد قاوم التوافق مع موقف مصر ورفض قرارات الأمم المتحدة وقرارات الرافضين المتطرفين بل رفض العودة الى جنيف بمساعدة السوفيت(٣٨) ومن الناحية العسكرية نجد أن سوريا قد وزعت قوتها العسكرية نظرا لانتشارها فى لبنان ، ذلك الاحتلال الذى نال تأييد العرب المحافظين والموافقة الصامتة الظاهرية من قبل الولايات المتحدة ٠ ووجد الأسد انه من الأجدى الاحتفاظ بعلاقات أو اتصالات طيبة مع واشنطون ٠ وازاء ارتفاع أسهم الدبلوماسية فى صنع السلام فى الشرق الأوسط وما ارتبط بها من قلاقل داخلية الى جانب تصور الأسد انه تبنى دور بطل فلسطين الا انه اختار أن ينزوى بعيدا عن جولة المباحثات العربية ـ الاسرائيلية الجارية ٠ وان هذا الاختيار سار سهلا بسبب الاتحاد السوفيتى بصفته مصدر بمد السلاح والمدافع عند الملاذ الأخير ٠ ولقد دفعت سوريا كل ذلك اذ استخدم السوفيت قواعد سوريا البحرية على البحر المتوسط ٠

وعلى البعد أيضا نلمح فى معسكر الرافضين ليبيا والعراق أكبر مصدرين للبترول يحتفظون بعلاقات واسعة مع السوفيت وروابط اقتصادية مع الغرب فى آن واحد • وربما كانت ليبيا أغرب شريك مع السوفيت ولكنهما استطاعا أن يحتفظا بعمليات ودية للتزود بالسلاح وعلاقات دبلوماسية على الرغم من وجود الفجوة الايديولوجية التى تفصل بينهما وأحلام القذافى فى المغامرات الدولية • وكذلك كان الاتحاد السوفيتى المصدر الرئيسى للسلاح للعراق والمنتفع الأجنبى الوحيد بالميناء الحربى العراقى فى منطقة أم القصر على الخليج العربى • وظل الحال على هذا المنوال على الرغم من وجود اختلافات المسائل الداخلية أو الخارجية بما فى ذلك قيام بغداد بقمع الشيوعيين العراقيين بين الفينة والفينة وشرائها السلاح من فرنسا وتحسين علاقتها بايران على عهد الشاه • كما ن العراق لا تفتأ تناصب العداء مع عملاء السوفيت فى المنطقة مثل سوريا والفصائل المعتدلة فى منظمة التحرير وكذلك مع الحبشة حيث أيدت العراق مؤخرا النضال الفدائى الانفصالى فى اقليم ارتريا •

وان أحدث وأنشط تدخل سوفيتى فى المنطقة كان على حدود دول الخليج المنتجة للنفط الهامة للغرب • اذ تقع عدن على الحدود والتى تشكل هى والحبشة السيطرة أو التحكم فى الوصول الى البحر الاحمر الذى تمر فيه ناقلات البترول فى طريقها الى اسرائيل والأردن وقناة السويس • ولم يكتف السوفيت بنقل السلاح الى هذه المنطقة بل جلبوا كذلك المستشارين العسكريين بل وقوات محاربة كوبية •

وفى يوليو ١٩٧٨ فشل انقلاب مؤيد للغرب • ولم يدم الوقت طويلا حتى حدث نفس الشىء فى أفغانستان والتى ذات أهمية لتجاورها مع ايران • وفى النهاية نلاحظ أن السوفيت قد نجحوا بصفة عامة فى تحسين علاقتهم الرسمية مع حكومات تركيا وايران على الرغم من قيام الاخيرتين بالقاء اللوم على العناصر الماركسية التى تسببت فى العنف السياسى الذى اجتاح البلدين فى العام السابق •

ونخرج من ذلك بأن نمط المبادرات السوفيتية الاخيرة فى الشرق الاوسط يبدو أنه يتخذ طابع أضواء النفوذ الغربى وتهديده فى امدادات البترول • وفى

الوقت الحاضر تجد أن صانعى السياسة السوفيتية مترددون فى تعويض مواقعها الحالية للخطر من أجل قيام تفاهم مع الولايات المتحدة وحتى لو تحسنت العلاقات بينهما الى نقطة التفاهم هذه فليس من الاكيد أن يكفى النفوذ السوفيتى وعملائه فى المنطقة لاحداثه او قيامه او تقدمه · ان النظرة الفورية المباشرة هى فى استمرار فى توسيع هذا النمط من تدخل القوى العظمى فى الشرق الأوسط دبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا مباشر وغير مباشر الذى تبلور فى العام المنصرم · أن تورط أمريكا النشط وتوسطها بين مصر واسرائيل وتأييدها الصامت للعربية السعودية وايران يمكن أن يوازى تأييد السوفيت للحكومات الثورية والرافضة الواقعة على حدودها ·

المشكلة الفلسطينية بعد كامب دافيد(٣٩) :

يعتقد الاسرائيليون أنهم تمكنوا فى كامب دافيد ، فى شهر سبتمبر ١٩٧٨ أن يحققوا معاهدة سلام منفصلة مع مصر · وهم يأملون أن اذعانهم المؤلم فى الموافقة على العودة الى حدود ١٩٦٧ فى سيناء وفى ايقاف المستوطنات وتجريدها هناك سوف يمهد الطريق لتدبير من شأنه أن يترك المشكلة الفلسطينية بلا حل · وقد ظن مناحم بيجين أن اشارة مبهمة الى استعداد اسرائيل لاجراء بعض التغييرات السياسية على حدودها الشرقية قد يسد حاجات الرئيس السادات فى العالم العربى · وفى هذا الصدد لم يغير رئيس الوزراء الاسرائيلى هدفه الأساسى : وهو مناورة مصر وابعادها عن هذه الصورة باشباع كل متطلباتها من ناحية الأرض · ولتحقيق ذلك نجد انه كان على استعداد لدفع ثمن أعلى مما عرضه فى يناير ١٩٧٨ · الا أن منتقدى المستر بيجين وأيضا مؤيديه يخشون أن الرئيس السادات وبالتأكيد خلفه (والذى قد لا يحذو حذوه) ربما يضيق ذرعا بأن يبقى مجانبا · فى مواجهة الضغوط العربية المتجددة ، خاصة اذا لم تحدث تغييرات مادية ذات قيمة على الحدود الاسرائيلية الشمالية والشرقية · وفضلا عن ذلك ، فان بعض ما يثار من جدل هو أن المنازعات القادمة فى العالم العربى الذى له علاقة بسيطة أو لا علاقة على الاطلاق بالنزاع العربى ـ الاسرائيلى يمكن أن يكون لها تأثير خطير على العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية ، مما يترك اسرائيل مكشوفة استراتيجيا ، الا أن رئيس الوزراء الاسرائيلى قدر بنجاح انه قد يحظى بتأييد واسع النطاق فى اسرائيل اذا أمكنه عزل مصر عن دول المواجهة لأنه

من الصعب أن يرى المعسكر العربى المتفكك الباقى وهو يتحد ليوجه ضربة عسكرية ناجحة ضد اسرائيل ٠

وبأية كيفية فان ما يسمى « بالرباط » قد ورد فى الاتفاقية ـ وهو أساسا نقطة ملاقاة لفض خلاف بين وضع اسرائيل ووضع كل من مصر والولايات المتحدة ـ ومن الواضح أن كل جانب سيتمسك بآرائه الأصلية عند تفسير معاهدة السلام ٠ وان فهم الرئيس كارتر لما هو متضمن فى الجانب الفلسطينى « من اطار عمل كامب دافيد أبعد عن أن يتلاقى مع تفسير المستر بيجين له » ٠ فالنسبة لهذا الأخير نجد أن الفاظا مثل « الحقوق الشرعية للفلسطينيين » لا تزال بلا معنى ، مجرد استخدام للشفتين لتحقيق اتفاقية مع مصر ٠ كما يعتقد أنه ليس هناك داع يدعو المصريين لعمل تقدم على جبهة سيناء يكون واجب الوجود مع تقدم المسألة الفلسطينية ٠

أهداف السادات :

ان الرئيس السادات ، الذى لا يرغب فى أن يتوصل الى اتفاق منفصل مع اسرائيل ، يصر على ارتباط (رابطة) أكثر وضوحا مع طرق اتفاقيات كامب دافيد ، بينما لا يزال يحافظ على أهدافه من أجل المناورة السياسية الحرة فى حالة ما اذا تملصت الأطراف العربية ذات النفوذ من الانضمام لعملية السلام ٠ وهو يأمل أن تحركاته قد تجبر الفلسطينيين بل حتى السوريين فى النهاية الى المفاوضات ٠ ومع ذلك ، فاذا فضل كل من السوريين والفلسطينيين أن يمكثوا فى البرد خارج المفاوضات ، فمن الصعب أن نرى السادات يسمح لهم أن يمنعوا مصر من استعادة السيطرة على كل سيناء ٠ وانه فى هذا الصدد فقط تصل الاتفاقية بين اسرائيل ومصر الى « سلام منفصل » ، ومن هنا يطالب الرئيس السادات بالارتباط بين جانبى الاتفاقيات وبذلك فانه يسعى الى أن يظهر للفلسطينيين انه هو وليست سوريا أو منظمة التحرير الفلسطينية أو أى دولة ، الاكثر رعاية لمصالحهم ٠ ويبدو أن السادات يقدر أن كثيرا من الفلسطينيين أو أى دولة فى الضفة الغربية قد يتأرجحوا بخصوص الانضمام الى المحادثات واجراء معظم الاتفاقية الجديدة ـ والتى يقدر كثير من العرب وخصوصا الادارة الأمريكية انها قد

ينجم عنها فى النهاية نوع ما من الاستقلال السياسى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة • ويعتقد الرئيس المصرى أن كثيرا من الفلسطينيين يوافقون سرا على الفرصة الجديدة ، حتى اذا كانوا متبرمين وغير قادرين من المواجهة العملية والتسليم بها فى الوقت الحاضر •

وقد يبدو ، مع ذلك ، ان السادات وأيضا الأمريكيين يريدون أن يحضروا بعض الفلسطينيين المعروفين بانتمائهم وتميزهم فى منظمة التحرير الفلسطينية الى المحادثات لكى يكسبوا تأييد الاغلبية الفلسطينية الصامتة • وقد يعطى هذا دافعا أكثر للعملية من وجهة النظر الفلسطينية لكنه يمكن أيضا أن يتسبب فى تحطيم منظمة التحرير الفلسطينية ـ حيث ان هذه الأخيرة سيكون لزاما عليها أن تتخذ قرارات مؤلمة ، وتتخلى عن موقعها السلبى الذى يوحدها • فأى استجابة ايجابية من جانب زعماء منظمة التحرير الفلسطينية نحو المحادثات القادمة يتبؤ لها أن تؤدى الى تفككها والى عزل الرافضين من بينهم والذين بصورة أو بأخرى سوف يكونون موجودين دائما •

ومهما يكن من أمر ، فبينما استمرت الأطراف الثلاثة المعنية فى معاهدة السلام تتفاوض بخصوص اختلافاتها ، فمن الصعب أن نرى كيف يمكن للفلسطينيين أن يصبحوا طرفا فى الحوار • فمثل هذا التضمين أو (التوريط) يستدعى تعاون واسهام الفلسطينيين ، وعدم وجوده قد يخلق المزيد من الصعوبات فى انجاز مشروع الخمس سنوات المقترح للادارة الذاتية • اذا أرسل الملك حسين ملك الأردن موافقته الجزئية واذا أوضح بعض مسئولى منظمة التحرير الفلسطينية انهم لا يرفضون كلية المبادىء التى ارساها اقتراح الادارة الذاتية ، فسيكون أفضل وأسهل بكثير لمؤيديهم المضطربين فى الضفة الغربية وغزة • وبذلك فان ورطة الفلسطينيين تشتد حدة بفعل المعارضة للمشروع من خارج المنطقة • فمن ناحية ، فان كثيرا من الفلسطينيين فى الضفة الغربية قد توصلوا الى أنه يجب عليهم مساعدة منظمة التحرير الفلسطينية الآن حيث أن هذه المنظمة المفككة من حيث تركيبها نجد أنه من المتعذر تأييد المشروع ، حيث أن اختلافا أساسيا بين زعماء منظمة التحرير الفلسطينية المتنازعين من قبل يمكن أن يتسبب فى انهيارها • وان هذا هو ما يخشاه الفلسطينيون فى أنه قد يتسبب فى الاعمال المتجدد ، للمسألة

الفلسطينية » · ومن ناحية أخرى ، فان كثيرا من الفلسطينيين الآخرين يخشون أن وقفة صلبة قد تنقلب ضدهم مرة أخرى · ومن هذا فان مزيدا من أصوات الضفة الغربية تحث الآن زعماءها المحليين ذوى النفوذ أن يلعبوا دورا سياسيا رائدا وأكثر حسما · وهم يحضون على الاضطلاع بالمسئولية الواقعة عليهم أفضل مما يتركوا الوضع السلبى لزعماء منظمة التحرير الفلسطينية خارج البلد على الحقيقة السياسية لهؤلاء الباقين تحت الاحتلال الاسرائيلى · والآن فان المزيد من الفلسطينيين يقترحون على انفراد أن منظمة التحرير الفلسطينية ، وهى متورطة بالوضع التى هى عليه الآن فى حرب لبنان ، يجب عليها ألا تمنع هؤلاء الذين تحت الاحتلال من بدء عملية تخليص أنفسهم من العصابة الاسرائيلية ، خاصة عندما يكون معروفا أن بعض مسئولى منظمة التحرير الفلسطينية يؤيدون اقامة فلسطين « صغرى » فى الضفة الغربية وغزة · ويذهب آخرون الى أبعد من ذلك فيقترحوا أن منظمة التحرير الفلسطينية ربما تكون قد أنجزت عملها فى اخراج القضية الفلسطينية بالقوة الى جدول أعمال العالم ، وان الوقت قد حان لحوار ديمقراطى بين الفلسطينيين يخلو من التهديد المستمر والذعر من منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الاردنى ـ وكلاهما يصول ويجول من أجل السلطة على الضفة الغربية فى موقف يمكن وصفه بالسفن المتصلة · وينعكس هذا فى عدم الثقة العميق الذى يسود بين الفلسطينيين المنقسمين تحت الاحتلال · يخشى مؤيدو حسين احتمال سيطرة (واستيلاء) منظمة التحرير الفلسطينية على الضفة الغربية · وعدد من التجار الأثرياء مضطربون بخصوص احتمال تخلى اسرائيل عنهم ، وأتباع منظمة التحرير الفلسطينية مدركون أن الوحيدين الذين ترى فيهم اسرائيل استعدادها أن تعطى اجراء محدودا من الحكم الذاتى هم عناصر من قبل الهاشميين ·

موقف بيجين :

ان موقف المستر بيجين الواضح الصلابة بخصوص أمر المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية من شأنه أن يجعل الأمر أكثر صعوبة لكل من لرئيس السادات والأمريكيين أن يجمعوا التأييد لاتفاقيات كامب دافيد بين الفلسطينيين المعتدلين · وهو أيضا يعوق المحاولات الأمريكية أن تكسب الى جانبها السعوديين الذين هم فى أشد الحاجة لكسبهم وبالطبع الملك حسين ـ

الذى هو الآن أكثر من ذى قبل لا غنى عنه لعملية صنع السلام . وفضلا عن ذلك ، اذا قام بيجين بتنفيذ وعوده بخصوص ضم القدس . وقد قام بضم القدس فعلا واعلانها عاصمة أبدية لاسرائيل وتكثيف المستعمرات واقامة مستعمرات جديدة ، فان هذا من شأنه فقط أن يسهل على الرافضين ـ المتركزين أساسا خارج المنطقة ـ أن يثبتوا (آراءهم) بالقوة على أتباعهم وأيضا على خصومهم فى المناطق المحتلة . هذا لأن أى قبول من حيث المبدأ لمشروع الادارة الذاتية ـ فى الوقت الذى تنفذ فيه اسرائيل سياستها من جهة المستعمرات (الاستيطان) بمزيد من القوة سينظر اليه بالطبع على أنه عمل مشترك مع الحكومة الاسرائيلية فى ممارسة ما قد بدأ على أنه سياسات ضد الفلسطينيين . ويخشى الامريكيون أن يكون بيجين يستهدف فى عقله من وراء معاهدة منفصلة مع المصريين ، لمنع كل من الأردن والفلسطينيين من حضور المناقشات عن المستقبل السياسى للضفة الغربية . ان الخط الصلب الذى يتخذه بيجين بخصوص الضفة الغربية والقدس يعكس أيديولوجيته الشخصية ، وهى أن المنطقة جزء من "Ertz Israel" « أرض اسرائيل » . والذى يعتقد أن لاسرائيل فيها حق لا سبيل الى التنازل عنه . وأن بيجين بمخالفته حتى لمفهومه هو عن التعهد الذى أعطاه لكارتر بألا يقيم مستوطنات جديدة ، فانه يهدف الى أن يوضح لكل الأطراف أن الامتيازات (والتنازلات) التى أعطيت لمصر فى سيناء لا يمكن أن تتكرر لا فى الضفة الغربية ولا فى مرتفعات الجولان بالاضافة الى محاولة تهدئة المحتدين فى داخل حكومته . وان توقيت عمل اسرائيل قد استحث بفعل رغضه لردود الرئيس كارتر للملك حسين وبفعل الدور السياسى الجديد الذى تحاول الولايات المتحدة أن تلعبه فى الضفة الغربية . اذا كان بيجين متصلبا فى اعتقاده أنه بغض النظر عن الرغبات الأمريكية ، لا سيادة عربية سوف تسود فى الضفة الغربية والقدس ، فمن الصعب أن نرى لماذا قد يختار حسين الانضمام للمحادثات عندما لا يكون لدى بيجين عمليا شيئا يقدمه له .

الأردن على السور :

ان وضع الأردن فى مواجهة اتفاقيات كامب دافيد وضع هام للغاية بالنسبة لكثير من الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة والذين يتطلعون الى حسين لتوجيههم ، اعتقادا منهم انه المفاوض المحتمل الوحيد فى جانبهم . الا أنه

ليس من الواضح تماما أن الهاشميين يرغبون فى العودة والسيطرة على الضفة الغربية ، التى هى الآن فى نظر الأردن عبء أكثر منها ملكية ٠

وان هـذا يكون كذلك خاصة لأنهم يشكون فيما اذا كانت اسرائيل ستسمح للقوات الاردنية أن تتمركز هناك ٠ ويزداد اعتقاد الأردنيين أنـه سوف يكون مستحيلا من الوجهة العملية ، انهم لو أعطيت لهم الفرصة ، أن يحكموا المنطقة دون استعمال اجراءات عنيفة قـد تخلق حتما عدم استقرار بين العديد من الفلسطينيين فى الضفة الشرقية أيضا ٠ وان أهالى الضفة الغربية ، الذين تعلموا تحت الاحتلال الاسرائيلى أن يقدروا ملامح معينة من الديموقراطية كانت ممنوعة عليهم تحت الحكم الأردنى ، لم يتحملوا الاحتلال الاسرائيلى من أجل أن يعودوا ثانية الى الهاشميين ٠ ان الملك حسين مدرك تماما للموقف المتفجر الذى ينتظر أن يتداوله ٠ وحيث أن التعايش بمعناه الحقيقى بين حسين ومنظمة التحرير الفلسطينية متعـذر ، فمن الصعب أن نجـده مهتما بمفاوضات من أجل منظمة التحرير الفلسطينية ٠ وان قبوله للشروط الاسرائيلية الحالية هو فى نظر رعاياه الفلسطينيين مرادف للخيانة ٠ ومن هنا فانه ليس أمام الملك خيار الا ان يبقى على السـور تلك اللحظـة (حاليا) ، الا اذا سمح له بتنفيذ مشروعه الفيدرالى فى مارس ١٩٧٢ ٠ وهكذا ، فكما فى المـاضى ، فان الحكم الأردنى يسعى لتصغير دور منظمة التحـرير الفلسطينية ، وليظهر ضعفها ويحيد جهودها فى أن تصبح المفاوض الموثوق فيه من أجل الضفة الغربية وغـزة ، بينما يعطى فى نفس الوقت خدمة بالغة لهـذه المنظمة و « لحقوق » الفلسطينيين ٠

الورطة الفلسطينية :

وبنـاء على ذلك فمن الصـعب أن نرى كيف يسـتجيب الأردن والفلسطينيون لانسحاب من جانب واحـد للادارة العسكرية الاسرائيلية من الأراضى المحتلة ، والذى قـد يلقى بالكرة الى الملعب الفلسطينى المجزأ ، اذا كانت مثل هـذه الخطوة مصحوبة فى نفس الوقت بخلق اسرائيل لاعمـال اضافية من مظاهر الأمر الواقع وذلك بالمستعمرات الجديدة واعلان القـدس عاصمة أبدية لاسرائيل ٠ وعندئذ فان الورطة الفلسطينية من شأنها فقط أن

تزداد حدة . ويمكن لاسرائيل أن تزعم أنها وضعت يدها على الخطوة الأولى لمشروع الادارة الذاتية وان الأمر كان متروكا للفلسطينيين أن ينضموا اليه .

وان الانتخابات المقترحة لسلطة الحكم الذاتى الفلسطينى قد تقدم مصعوبة اخرى للفلسطينيين حيث أنهم يعتمدون فقط على المشاركة الفلسطينية . وان هذا قد يظهر الاستقطاب بين الفلسطينيين والذى من شأنه أن يكون مؤلما للغاية بالنسبة لهم . انهم يخشون أن الرفض الكامل للانتخابات قد يلقى فى أيدى اسرائيلية . وقد يقدم عرفات مخرجا من هذا الطريق المسدود « بالسماح » للفلسطينيين تحت الاحتلال أن يستفيدوا من هذه الفرصة الجديدة التى خلقتها اتفاقيات كامب دافيد ، وبذلك يجبر الحكومة الاسرائيلية أن تنفذ الانتخابات المتفق عليها والتى يأمل الفلسطينيون أنها ستنهى الادارة العسكرية الاسرائيلية هناك . وفى نفس الوقت يمكن لمنظمة التحرير الفلسطينية رسميا أن تقدم احتياطياتها بل تدفع الانتخابات التى منعت منها رسميا ، لكنها مع ذلك لديها المرشحون لها . ومخرج آخر من هذا الطريق المسدود ينظر اليه بعين الاعتبار بواسطة منظمة التحرير الفلسطينية والعمد الحاليين . وهذا التصريح بأن هؤلاء الآخرين أى (العمد) هم السلطة الفلسطينية المؤقتة ، وبذلك يتجنبوا عملية الانتخابات المؤلمة التى ـ اذا نفذت فى الوقت الذى لا تزال فيه الحكومة الاسرائيلية قادرة على انشاء مستعمرات جديدة ـ قد ينظر اليها فقط على أنها تسليم بالتفسير الاسرائيلى لاتفاقات كامب دافيد . ان مجموعة العمد الحالية تقدم تمثيلا لمنظمة التحرير الفلسطينية وأيضا لاعوان حسين . ان هذه المجموعة يمكن أن تشمل عددا من الشخصيات السياسية الاضافية المعروفين بأنهم على وفاق بكل من الهاشميين ومنظمة التحرير الفلسطينية . غير ان اسرائيل قد تمكنت بالفعل من طرد جزء منهم ، وجزء آخر أصبح مقعدا بعد أن بترت سيقانهم بتأثير الانفجارات .

ومن هنا يبدو أن كثيرا من الردود تكمن فى التحركات المصرية والأمريكية القادمة : الى أى مدى ستمضى مصر فعلا فى عمل تقدم لاتفاقها المتبادل مع اسرائيل مشروطا بالمستقبل السياسى للضفة الغربية ، وكم من الضغط سوف تحاول أمريكا أن تمارسه على اسرائيل فى محاولتها أن تضيق عليها

الخناق لكى تواجه المشـــكلة الفلسطينية ؟ لكن هـذا يعتمـد أيضـــا على الفلسطينيين أنفســـهم . فان الأمر يرجع اليهم الآن اكثر من ذى قبـل أن يتحركوا ، كيف سيكون تفاعلهم ازاء هذا التحدى . انه أمر سوف نراه . هل سيكررون أخطاءهم المـاضية ، يرفضـون كل شيء ويرمون به بعيـــدا عن أيديهم ، أم أنهم سيدركون فى النهاية ، مثل الاسرائيليين ، ان التـاريخ والحقائق السياسية تشمل احتمالات حقيقية حتى لو طالبوا بقرارات مؤلمـة وتتطلب فى جوهرها الملاقاة عند نقطة لفض الخلاف ؟ .

خاتمة

(١)

كى نلخص الحلول المفروضة التى يمكن تصورها فانها تقع ضمن الامكانيات السابقة · ان الدين يؤيدون عدم تدخل أمريكا متسامحون ولكنهم يعتمدون أكثر على الحل الخاص بالسلاح النووى · أما الذين يسيؤهم الانتشار النووى ومعهم أولئك الذين يتورطون أدبيا أو علميا فى الشرق الاوسط فانهم يحاولون البحث عن وسائل أخرى ·

ويتساءل الانسان أى الاتجاهين أكثر عيوبا · واذا كان الانسان متشائما فهو بالطبع لا يرى أن هناك حل على الاطلاق سواء كان مفروضا أو غير مفروض وان غياب السلام فى الشرق الأوسط سوف يظل حقيقة فرضت على العالم أن يعيشها ·

(٢)

وماذا عن المستقبل ؟ اذا كانت الأحداث الأخيرة قد علمتنا شيئا فهى أن السياسة عالم ملىء بالمفاجآت تتمثل فى فشل أو تدهور داخلى أو تدخل خارجى · وعلى هذا النحو من الحكمة أن تستنتج دون خشية أى تطورات · ومع ذلك فان تعقد الموضوع يقدم نصيحة عامة لكل الأطراف يسعون لها أن تقوم على هذه التطورات · ان حقائق السياسة الدولية فى الشرق الأوسط لا يمكن حصرها فى مقولات مبسطة · وينطبق نفس الشىء على القوى العالمية والاقليمية وبالنسبة لاسرائيل لم يعد الموضوع موضوع ارض او سلام بل بالاحرى أى الأراضى وتحت أى شروط وأى نوع من التسوية وبالمثل نقول أن الاختيار أمام مصر ليس بين السلام المنفصل أو السلام الشامل كما وصف أحيانا بل بين مصر والقومية العربية وهذه المسألة مسألة درجة أن البدائل غامضة لدرجة أن كلا الطرفين يحاولان أن يجعلا الاختيار مفتوحا · وعليه فان

الأحداث الدراسية مثل انتخاب بيجين أو مبادرة السادات الى جانب التغييرات الأخيرة بين القوى المحلية لا تعرض نفسها لمجال التحليل فى مقولات مطلقة ٠

وينطبق هـذا الكلام على التحليل الاخير وعلى نمط تدخل القـوى العظمى الجديد فى الشرق الأوسط وما يرتبط به من تغيرات فى المنطقة ٠ ولكن الجدل الذى يثار الآن هو أن مركز الجذب فى التدخل السوفيتى قـد تحول من مجرد الدبلوماسية الى الرجال والمـال والعتـاد على حـدود المنطقة تاركة الولايات المتحدة تنغمس فى دور الوسيط فى النزاع المصرى ـ الاسرائيلى(٤٠)٠ ومع ذلك فالسؤال الآن هل تستطيع الولايات المتحدة أولا أن تفرض حلا على أصدقائها وتشهد الحقيقة على أن هناك أشكال من هـذا التأثير قـد تمت ٠ ومن الممكن أن يتخذ التدخل الأمريكى الفعال طابعا أكثر ايجابية وليس سلبيا بمعنى أن يصل الى درجة العقوبات الايجابية مثل العرض باتخاذ ترتيبات الدفاع والأمن فى المنطقة ٠ ان قصة مبادرة السادات ـ للتاريخ ـ تظهر أن مصر واسرائيل قـد تقاربت قوائهما أولا لتحويل مسار الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط ٠ وفى المثال السوفيتى لوحظ أن التأثير بين قوة عظمى وأخرى دخلية هى عملية متبادلة يستطيع كل طرف فيها ان يؤثر على الآخر وليس بالضرورة يسيطر عليه ٠ وينطبق هـذا القول على العلاقات السوفيتية مع دول الرفض والآن وكما كان الحال فى العلاقات مع مصر سابقا ٠

علاوة على ذلك ينطبق تصور ممـاثل على مستقبل نمط التدخـل الأمريكى ـ السوفيتى العام فى الشرق الأوسط أن نفوذ الدولتين الأعظم موزع ـ ليس فى دوائر مانعة ـ ولكن فى مناطق متداخلة ذات حدود مانعة ٠ أما دوام هـذا النفوذ فليس بالأمر اليقين اما بسبب السياسات المحلية فى المنطقة او بسبب المبادرات الحاذقة التى قد تقلب خطط القوى الخارجية رأسا على عقب ٠

REFERENCES

(١) Decade of Decisions Los Angles : University of Califormia Press 1977.

(٢) New York Times (January 12 and February 11, 15, 17, 1977).

(٣) By Uri Ra'anan, Shlomo Avineric, and the Louis Harris Polling Organization as reported in New York, Times (June 4. August 15, and September 6, 1977). CF. an Israeli Preetection Poll Reported in New York Times, February 21, 1977.

(٤) Excrpt of text in Armed Forces Journal (October 1977): 32.

(٥) Ibid. Begin statements in Jerusalem Post (May 17, 1977).

وذلك من خلال حديث كان بيجين قد أدلى به للتليفزيون الاسرائيلى

(٦) New York Times (September 3, 1977).

(٧) راجع : New York Times (February 8, 10, 16, and May 9-15: (1977).

(٨) This reoding is implicit in the account given by Guandt (note 1 suprs) of Kissinger's Shuttle diplomcy at that times.

(٩) راجع على سبيل المثال : The report in Le Monde (April 4, 1977).

(١٠) This impression was confirmed in discussions held with United States Department Middle East officers during Sadat's 1977 visit to America.

(١١) Sadat Statements as reported in New York times (March 4 and November 4, 1977), also New York Times (December 12, 1977). For report, of earlier, private Egyptian - Israeli contacts Via Rumania, See New York Times (August 26, and November 27, (1977) other undocumented but generally convincing reports cite.

Moroseco as the probable locus of advance arrangements for Sadat's trip.

راجـع ايضـا :

e.g., June Afrique no. 904 (Mach 3, 1978); Walter Laqueur, Is Peace Still Possible in the Middle East "Gommentary (July 1978); and Time (August 7, 1978).

(١٢) حول هـذه النقطة ـ راجـع :

Quandt's accountoof Kissinger's reaction on the direct negatiations between Egyptian General Gamasy and Isreali General Yariv immediately after the October War (note & Syora).

(١٣) New York Times — (December 29, 1977).

(١٤) حول هـذه النقطة راجـع بصفة خاصة :

Rabin interview in Haretz (June 30, 1978).

(١٥) راجـع حـول هـذا الموضـوع :

Kayban International (January 3, 1978).

(١٦) Jerusalem Post (April 18, and July 25, 1978).

(١٧) ———————— in New York Times (February 13, 1978); see also Washington Post (February 11, 14, 21, 27; March 1, and April 20, 1978), and especially Jerusalem Post Weekly (February 26, 1978).

(١٨) Washington Post (February 6, 1978).

(١٩) Ha'aretrz (August 14 - 17, 1978).

(٢٠) New York Times (July 6, 1978),

(٢١) الاهرام ـ القاهرة ١٥ يوليو ١٩٧٨

(٢٢) Text of Mondalés first assurance in Deprtment of State Bulletin, July 11, p. 45.

(٢٣) Author's interview with American officials, Washington, D.C., February and April 1977 and February 1978).

(٢٤) راجع على سبيل المثال مواقف الرئيس الاسـد فى :

New York Times (November 23, 26, (1977).

(٢٥) "The Soviet Attitude to the Palestinian Problem: From

the Records of the Syrian Communist Party, 1871 - 72", Journal of Palestine Studies 2 (Autumn 1972): 1943.

(٢٦) V. Vladimirov, "A Peaceful Settlement for the Middle East"; Neghdunarodnaya Zhlynn no. 10. (October 1974) : 109, cited in Galia Golan, The Soviet Union and the PLO, Adelphi Papers No. 131 (London International for Strategic. 1977), p. 7.

(٢٧) راجـع :

Fuad Jabber, Israel and Nuclear Weapors : Present Option and Future Strategies (London; Chatto and Windus, 1971).

(٢٨) راجـع :

Avigdor Dagan, Moscow and Jerusalem (New York : Abelard Schuman, 1970).

(٢٩) George Levczowaki, "Evolution of American Policy in the Middle East", in U.S. Eoreign Policy. Perspectives and Propasals for the 1970 s, ers. Paul Seabury and Aarron Wilravsky (New York McGrow Hill, 1969).

(٣٠) راجـع :

———————— Adam Ulam, The Rivals (New York: Viking Press, 1971) pp. 251 - 4.

(٣١) راجـع :

———————— christopher syskes, Cross Roads to Israel (London Collins, 1965).

(٣٢) ———————— work of Ted Gurr, why Men Rebel Princeton, New Jersey; Privection University Press, 1970).

(٣٣) راجـع :

———————— Arms Trade with the third world (New York Humanities Press, 1971), also see subsequent Volumes of the Year book series, stockholm International peace Research Institue. Wolrd Armaments and Disarmement (New York; Humanitees Press; or Cabridge: MIT Press. Annual Publication).

(٣٤) راجـع :

———————— George H. Quester, offense and Defense in he International system - New York - Wiley, 1977.

(٣٥) ———————— found in James F. Digby, Precision Guided Weapons, Adelphi Papers no. 118 (London: International Institute for Strategic Studies, 1975).

(٣٦) ———————— found in Gabriel Shffer and Gerald Steinberg, Patron - Client Relations and Poletical Crises in the Middle East, Peace studies.

Program Monograph. (1 thaca, New York Center for International Studies: Cornell University, in press).

(٣٧) راجـع :
———————— Rebort W. Tucker, A New Isolationism (New York: Universe Books, 1972).

(٣٨) راجـع على سبيل المثـال :
Cuurrent Opinion 3 (January 1975): p. 12.

(٣٩) اعتمدنا فى هـذا الجزء من الدراسة على :
Plasov Avi : The Palestinian Predicament after **Camp David**, in : The World Today, December 1978, The International Institute for Strategic Studies, London.

(٤٠) World Politics and the Arab-Israeli Conflict Edited by : Robert O. Freedman, Pergaman Policy Studies, 31, New York 1979, pp. 37 - 53.